أرسين لوبين

أرسين لوبين بوليس سري



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

أرسين لوبين بوليس سريّ

(٢)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دار ميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

-١-
عقد اللؤلؤ

دق جرس الباب الخارجي في القصر الفخم الذي تقطنه البارونة "فاليري إيسرمان" بضاحية "سان جرمين" بالقرب من "باريس" ، فذهبت الخادمة لترى من القادم . ثم عادت إلى سيدتها البارونة وفي يدها بطاقة . قدمتها إليها وهي تقول :

- بالباب رجل يقول إنه مع سيدتي على موعد في الساعة الرابعة.

فتناولت البارونة البطاقة . وقرأت فيها هذه الكلمات :

"مكتب بارنيت وشركاه
للاستعلامات المجانية "

فقالت لخادمتها :

- اذهبي بهذا الرجل إلى مخدعي .

* * *

كانت البارونة "فاليري" .. أو "فاليري" الحسناء كما كانوا يدعونها منذ ثلاثين سنة .. امرأة ناضجة الجسم .. تعتني أشد العناية بثيابها وزينتها وتنم تقاطيع وجهها عن شيء كثير من الكبرياء .. ولا غرو .. فهي زوجة ممول كبير هو البارون "إيسرمان" المعروف في دوائر "باريس" المالية ..

ولم تكن هذه الكبرياء هي عيب البارونة الوحيد .. بل كانت هناك أشياء كثيرة تروى عنها .. وفضائح تنسب إليها .. وقيل في وقت ما إن زوجها ينوي طلب الطلاق .

نهضت البارونة وقصدت إلى مخدعها . ومرت في طريقها بغرفة زوجها البارون "إيسرمان" وهو رجل متقدم في السن . لزم الفراش في المدة الأخيرة بسبب نوبات قلبية شديدة كانت تصيبه بين وقت وآخر .

استفسرت البارونة من زوجها عن صحته . ووضعت وسادة خلف ظهره .. فسألها بصوت خافت :

- الم يدق جرس الباب الخارجي !!
فاجابت .
- بلى .. والقادم هو البوليس السري الذي أوصى به صديقنا "بيشو" واطرى براعته ودهاءه ، ونصح لنا باستخدامه لجلاء الحادث الغامض الذي وقع في مخدعي .
فاجاب البارون :
- حسنا فعلت .. إنني فكرت كثيرا في هذا الحادث فلم اتمكن من تفسيره .
وتركت البارونة زوجها وقصدت إلى مخدعها وهناك وجدت في انتظارها شابا طويل القامة . عجيب المنظر ...
يرتدي معطفا يميل لونه الأسود إلى الاخضرار .. ويضع على عينيه "مونوكلا" ويتحرك بخفة ونشاط وينظر حوله نظرات تهكم وسخرية ..
سالته :
- اهذا انت مستر "بارنيت" !! فاحنى قامته باحترام ..
وتناول يدها قبل أن تتمكن من منعه .. وطبع عليها قبلة رنانة..
واجاب :
- انا في خدمتك يا سيدتي البارونة واسمي "جيمس بارنيت" .
وأؤكد لك انني لم أكد أتسلم رسالتك الكريمة .حتى كنت أسرع من الطيران إلى تلبية دعوتك .. و ..
ولم تسمع البارونة بقية كلامه .. لأن الدم كان يغلي في عروقها..
لم تتعود مثل هذه المبالغة في المجاملة والتكريم مما تشتم منه رائحة التهكم والسخرية . وكان أول ما خطر لها أن تطرد الشاب . ولكنها عادت فملكت نفسها وقالت :
- قيل لي إنك بارع في حل الألغاز المعقدة ... وإيضاح الحوادث الغامضة ..
فابتسم وقال :
- لقد وهبني الله القدرة على رؤية ما وراء الحجب وحل الطلاسم . وإدراك معناها .

قال ذلك بصوت هادئ لايخلو من رنة التهكم التي لاحظتها البارونة منذ البداية .. على أن لهجته كانت تدل على ثقته العظيمة بمقدرته ومواهبه وقد فكرت البارونة في ان افضل وسيلة لإذلاله . وتحطيم كبريائه ، والسيطرة على الموقف هي أن تتكلم في الناحية المادية . فقالت :

– ربما كان يحسن ان نتفق من الآن .. على الشروط ..

فصاح "بارنيت" :

– لاداعي لذلك على الإطلاق يا سيدتي البارونة..

فابتسمت البارونة بدورها ساخرة . وقالت :

– مما لاشك فيه إنك لاتشتغل من أجل المجد والشهرة فحسب ..

– إن مكتب "بارنيت" وشركاه هو مكتب يقوم مجانا بجميع ما يطلب منه .

– إني افضل أن ينص الاتفاق بيننا على نوع من الأجر .

أو المكافاة أو ... فضحك "بارنيت" وقال :

– او البقشيش ...

فقالت البارونة :

– ولكني لا اقبل ابدا أن اكون ...

– ان تكوني مدينة لي ؟؟ . إن المراة الحسناء لاتكون ابدا مدينة لاحد.. ثم استطرد على الفور ليستدرك جراته وقحته :

– وبعد فيجب ان تطمئني يا سيدتي البارونة إلى انه مهما تكن الخدمات التي استطيع أن أؤديها لك .. فإنني ساتدبر الامر لتصفية الحساب بحيث لا يخرج احدنا مدينا للآخر او دائنا له ..

وهنا تساءلت البارونة "فاليري" :

– ترى ما معنى هذا الكلام الغامض .. وكيف ينوي هذا الشاب الغريب الأطوار تسوية الحساب فيما بيننا ؟

واحست بنوع من القلق شبيه بما يحسه الإنسان حين يجد نفسه واقفا امام احد اللصوص .

وامعنت في التفكير .. فخطر لها خاطر احمرت له وجنتاها .. نعم .. من يدري .. فربما كان هذا الشاب عاشقا لها وتفتق ذهنه عن

هذه الحيلة الفذة للاتصال بها ..
ولكن كيف يمكنها أن تتأكد من ذلك !! وماذا يجب عليها أن تفعل!!
استولى عليها شعور مختلط هو مزيج من الخجل والقلق .والثقة والارتياح .. وانست من نفسها استعدادا للاعتماد على "بارنيت".. والاطمئنان إليه فلما سألها عن الأسباب التي حملتها إلى الالتجاء إلى مساعدته بصفته (بوليس سري) يعمل لحسابه الخاص .. أو بمعنى أصح لحساب مكتب (بارنيت وشركاه) أجابته في غير تحفظ..بغير لف أو دوران .. وذلك كل ما كان يبغي .
قالت له :
- حدث في يوم الأحد الأسبق انني ذهبت إلى غرفة نومي في ساعة مبكرة بعد أن لعبت الورق مع بعض صاحباتي .
وهناك استولى على النوم في الحال فنمت نوما عميقا إلى أن استيقظت في الساعة الرابعة صباحا على صوت جلبة أعقبها صوت إغلاق باب .. خيل إلي انه باب غرفتي ...
- أي هذه الغرفة ؟ ..
- نعم .. وهي كما ترى متصلة بردهة تؤدي إلى الجناح الخاص بالخدم .
ولما كنت لم أطبع على الخوف فإنني وثبت من فراشي في الحال و ...
وهنا أحنى "بارنيت" قامته باحترام عظيم وهتف بتلك اللهجة التهكمية :
- إنني أحيي فيك الشجاعة يا سيدتي البارونة ...
فعضت البارونة على شفتيها . ولكنها استطردت :
- وثبت من فراشي إذن واضات النور فلم ار أحدا .
ولكني وجدت هذه الطاولة الأنيقة مقلوبة على الأرض. وقد تحطمت بعض التماثيل الصغيرة الفنية التي كانت فوقها .
فقصدت إلى زوجي ووجدته ارقا يقرأ في فراشه . وقد قال لي إنه لم ير ولم يسمع شيئا .. ولكنه شعر بالقلق والانزعاج عندما حدثته بما رأيت في غرفتي . فأيقظ كبير الخدم ... وامره بتفتيش القصر . والقيام بجميع الأبحاث الممكنة لمعرفة سر الحادث ولكنه لم يوفق ..

فابلغنا الحادث في الصباح إلى البوليس ..
فسألها "بارنيت" بلهجة الأمر :
– والنتيجة !!
– والنتيجة انه لم يعثر على أي دليل على دخول او خروج الشخص الذي قلب المنضدة في غرفتي وأحدث الضوضاء التي أيقظتني . فكيف دخل هذا الشخص . وكيف خرج ؟! ذلك هو السر . بيد أن البوليس عثر بين قطع التماثيل المهشمة على نصف شمعة .. وعلى مثقاب من النوع الذي يستخدمه العمال .. وكان زوجي قد طلب احد العمال في اليوم السابق للحادث لكي يصلح صنبور الماء (الحنفية) في الجناح الخاص به فلما عرض نصف الشمعة والمثقاب على صاحب المحل الذي أرسل إلينا العامل . قرر الرجل في الحال أن لديه النصف الآخر من الشمعة .. وأن المثقاب هو مثقاب العامل الذي اصلح صنبور الماء في غرفة التواليت الملحقة بمخدع زوجي ...
– إذن لم يكن ثمة شك في أن هذا العامل هو الذي زار غرفتك ليلا و ...
– لقد أوجد التحقيق الشك في هذا الافتراض . إذ اثبت أن العامل سافر إلى "بروكسل" في مساء اليوم الذي أصلح فيه الصنبور .. وكان سفره بالقطار السريع الذي يبرح "باريس" في الساعة السادسة مساء ويصل إلى "بروكسل" في منتصف الليل... أي انه وصل قبل وقوع الحادث في غرفتي باربع ساعات .
– وهل عاد هذا العامل إلى "باريس" !!
– لا .. لقد فقد رجال البوليس اثره في مدينة (انفرس) بعد ان تبين لهم انه كان ينفق المال في هذه المدينة بغير حساب .
– هل هذا كل ما هناك !!
– نعم . هذا كل ما هناك ؟
– ومن الذي كلف بالبحث وعمل التحريات في هذا الحادث ؟؟
– المتفش "بيشو" .
وهنا ظهرت على وجه "بارنيت" علامات السرور والارتياح وهتف:
– المفتش "بيشو" !! إنه من أعز أصدقائي يا سيدتي البارونة وكثيرا ما عملنا معا .

– الواقع .. انه هو الذي اشار علينا بالالتجاء إلى بوليس سري خاص لإماطة اللثام عن سر هذا الحادث . وهو الذي حدثنا عن مكتب "بارنيت" وشركاه . ونصح لنا بان نلجا إليه .

– لعل السبب في ذلك انه لم ينجح في مهمته .

– هذه هي الحقيقة .

– كم أود أن أؤدي خدمة لهذا العزيز "بيشو" . ولك انت كذلك يا سيدتي البارونة العزيزة .

ثم سار إلي النافذة . والصق جبهته بزجاجها . وظل كذلك لحظة كانه يفكر ثم تحول إلى البارونة وسالها :

– وهل من راي "بيشو" ورايك يا سيدتي البارونة انه كانت هناك محاولة لارتكاب سرقة ؟

– نعم . كانت هناك محاولة . ولكنها لم تكلل بالنجاح . لانه لم يختف من الغرفة شيء .

– لنسلم جدلا بذلك . ولكن مهما يكن من امر فإن هذه المحاولة كانت تنطوي على غرض معين . وانت لابد تعلمين بهذا الغرض فما هو ؟؟

فاجابت البارونة "فاليري" بعد تردد يسير :

– لا . إنني أجهل الغرض من المحاولة .

فابتسم "بارنيت" وقال بتهكم :

– هل تسمحين لي يا سيدتي البارونة بان اهز كتفي بكل احترام .

ثم اشار بإصبعه إلى قطعة قماش مزركشة صغيرة تخفي جزءا من الجدار وسال :

– ماذا يوجد وراء هذه القطعة من القماش ؟

فتلعثمت البارونة قليلا وقالت :

– لاشيء ... ماذا تعني ؟

فاجاب "بارنيت" بلهجة جدية :

– اعني ان ابسط نظرة فاحصة . تستطيع ان تنفذ من خلال هذه القطعة الرقيقة الشفافة من القماش . وترى وراءها كوة صغيرة يغطيها باب صغير من الفولاذ ولا يجب ان يكون الإنسان على جانب عظيم من الذكاء لكي يستنتج وجود خزانة صغيرة في هذه الكوة ..

فمرت في جسد "فاليري" قشعريرة خفيفة . وادهشها ان يلاحظ "بارنيت" كل ذلك بهذه السرعة .

اقتربت من الجدار وحركت قطعة القماش . فكشفت عن باب صغير من الفولاذ باحد أركانه ثلاثة أزرار عليها علامات وأرقام.

وحركت البارونة هذه الأزرار بطريقة خاصة . ففتح الباب الفولاذي في الحال .

وهنا خطر للبارونة خاطر غير معقول ولكنه أزعجها .

خطر لها أن هذا الرجل الغريب ربما كان قد انتهز فرصة وجوده في الغرفة في انتظارها فسرق محتويات الخزانة .

أخرجت من جيبها مفتاحا . فتحت به الخزانة ونظرت في داخلها وتنفست الصعداء بارتياح عظيم .

مدت يدها وأخرجت من درج الخزانة عقدا بديعا يتكون من ثلاثة صفوف من اللؤلؤ الثمين . ونظرت نحو "بارنيت" نظرة فوز واطمئنان.

ولكن "بارنيت" اغرق في الضحك فجاة . وقال :

– حقا إنه عقد ثمين وبديع وللصوص كل الحق في انهم سرقوه.

فنظرت إليه البارونة في دهشة وسالت :

– كيف تقول إنهم سرقوه ؟! إنهم حاولوا سرقته فحبطت محاولتهم و فشلوا ..

– هل انت واثقة بان محاولتهم فشلت يا سيدتي البارونة !!

– وكيف لا اكون واثقة وها هو العقد بين يدي .. إن الشيء الذي يسرق يختفي .. ولكن ها هو ذا العقد .

– بل قولي ها هو (عقد) .. ولكن هل انت واثقة بان هذا العقد هو عقدك وأن له أية قيمة تستحق الذكر ؟

– بالتاكيد .. لقد عرضته على محل للجواهر منذ اسبوعين فقط فقدر ثمنه بنصف مليون فرنك .

– منذ اسبوعين .. اي قبل خمسة ايام من الحادث الذي وقع في هذه الغرفة ؟ . الواقع انني لا اتكلم بلهجة التاكيد لانني لم افحص العقد بعد . كل ما هنالك اني اشعر بالارتياب .. فهل تشعرين بمثل ريبتي ؟

فصمتت البارونة .. لأنها لم تعلم عن أية ريبة يتكلم "بارنيت" .

بيد انها احست بقلق مبهم .. فنظرت إلى العقد بين يديها . وخيل إليها انه اخف وزنا مما كان .. وانه يشع ضوءا غير الذي اعتادت ان تراه وان العقد بصفة عامة تكتنفه الريبة . والغموض.

تبلجت لها الحقيقة . وارتسمت في عينيها نظرة فزع .. قال "بارنيت" كانه يتعقب عن كثب التحول الذي طرا على شعورها وتخيلاتها :

– نعم . نعم . لقد كدت تهتدين إلى الحقيقة .. إن المسالة واضحة جلية كما ترين . فالشخص الذي دخل هذه الغرفة وانت نائمة لم يسرق . ولكنه استبدل بشيء شيئا .. فلم يختف من الغرفة شيء .. ولولا أن هذا الشخص اصطدم بالطاولة فسقطت واحدثت الضجة التي ايقظتك . إذن لبقي الأمر في طي الكتمان إلى الابد ، ولما خطر لك ان العقد الذي يزين صدرك البديع هو عقد لايساوي اكثر من بضعة فرنكات . لأن جميع لآلئه زائفة .. مصطنعة .

وصمت "بارنيت" لحظة . ولكنه لم يشا ان يترك للبارونة فرصة للتعبير عن شعورها. بل أراد أن يصل إلى غرضه من اقصر طريق. فقال :

وصلنا الآن إلى اول نقطة اساسية في الموضوع .. وهي أن عقد اللؤلؤ اختفى ... ولكن يجب الانقف عند هذه النقطة .. ما دام كل شيء يبشر بإمكان الوصول إلى حقائق اخرى ..

اما وقد عرفنا ان العقد سرق .. فيجب ان نبحث الآن ياسيدتي البارونة عمن سرقه .. هذا كلام منطقي معقول ..

لأننا متى عرفنا السارق .. استطعنا استرداد الشيء المسروق .

ثم ربت بلطف على يد "فاليري" واستطرد :

– كوني مطمئنة يا سيدتي البارونة .. فنحن نتقدم تقدما محسوسا كما ترين .. والآن اسمحي لي ان اتقدم إليك بنظرية بسيطة خطرت لي ..

لنفترض مثلا ان زوجك استطاع في تلك الليلة – على الرغم من مرضه – أن ينهض من فراشه . وأن يحمل الشمعة والمثقاب اللذين

يحتمل أن يكون العامل قد نسيهما في الجناح الخاص بزوجك حين اصلح صنبور الماء ..

ولنفترض أن زوجك فتح الخزانة .. ثم اعاد غلقها ..

ولكن بدرت منه حركة ترتب عليها سقوط المنضدة .. فلاذ بالفرار قبل أن تستيقظي ..

افلا يوضح هذا الافتراض كل شيء ؟؟ الا يوضح السر في عدم العثور على اثر أو دليل يثبت أن شخصا من الخارج دخل مخدعك وانت نائمة ؟؟

الا يوضح كذلك السر في عدم وجود اي اثر من آثار العنف بباب الخزانة ؟

بديهي أن يكون زوجك الذي شمله عطفك وفاز بنعمة قربك وكان حرا في دخول مخدعك قد تمكن من أن يعرف سر العلامات والأرقام التي يفتح بها باب الكوة وان يعرف كذلك مخبأ مفتاح الخزانة فلم يجد ضرورة لاستخدام المثقاب .

او الالتجاء في فتح الخزانة إلى اي نوع من العنف .

* * *

وقد كان لهذه النظرية (اليسيرة) – كما وصفها "بارنيت" –تاثيرها العميق على البارونة . فقد اضطرب صفاء عينيها وارتبكت ولكنها حاولت إخفاء اضطرابها وحيرتها .

فغمغمت تقول بلهجة الشخص الذي لا يصدق نفسه :

– إنك مجنون يا هذا . إن زوجي لا يفعل شيئا من ذلك . وإذا كان هناك شخص دخل مخدعي في تلك الليلة فهذا الشخص لا يمكن أن يكون زوجي ولا يمكن أن يكون هو ..

– هل تعلمين عن وجود عقد زائف مماثل تماما لعقدك ؟

– نعم . كان زوجي قد فكر – على سبيل الاحتياط وتغرير باللصوص – في أن يصنع عقدازائفا مشابها للعقد الثمين . وقد صنع هذا العقد فعلا منذ اربعة أعوام .

– ومن الذي كان يحتفظ بالعقد الزائف ؟؟

فاجابت بصوت خافت :

- هو . زوجي .

فابتسم "بارنيت" وقال :

- إن العقد الزائف هو هذا الذي بين يديك الآن . اما العقد الحقيقي فقد اخذه زوجك . ولعلك تتساءلين عن السبب .

إن البارون "إيسرمان" زوجك . هو رجل واسع الغنى .. يملك ثروة طائلة . ومركزه وثروته يضعانه فوق كل شك فهو إذن لم ياخذ العقد بقصد سرقته والاستفادة بقيمته . ولكنه اخذه بلا ريب لسبب آخر . وهذا السبب ربما كان عاطفيا يتصل بشعوره الشخصي . ولا يبعد ان يكون البارون قد أخذ العقد بقصد الانتقام من صاحبته .. بقصد تعذيبها . أو معاقبتها .. اليس كذلك ؟؟

إنه يحدث في بعض الأحيان . ان الزوجة الشابة الحسناء تجيب نداء قلبها الخافق . فتتورط في اخطاء غرامية تغضب زوجها وتثير حنقه ..

عفوا يا سيدتي البارونة . هذه مجرد نظرية (يسيرة) وليس من شاني ولا من حقي في الواقع ان أتغلغل في اسرار حياتك الزوجية . كل ما ارمي إليه . هو البحث بمساعدتك عن عقد اللؤلؤ المفقود .

فانكمشت البارونة في مكانها . ثم ثارت ثائرتها فجاة وصاحت:

- لا . لا .. ليس من شانك ولا من حقك ان تتدخل في شؤوني .

واحست بكراهية شديدة نحوهذا الشيطان المتهكم الذي استطاع بدهاء الابالسة أن يميط اللثام في دقائق معدودة عن جميع الاسرار التي تكتنف حياتها الخاصة ..

شعرت نحوه بنفور شديد . وارادت ان تتخلص من وجوده الثقيل باسرع ما يمكن . فهتفت :

- لا . لا .. ليس من شانك . لا اريد ..

فاحنى "بارنيت" قامته باحترام شديد وقال :

- على رسلك يا سيدتي . إنني لم اقصد بحال ان اكون دخيلا على شؤونك أو ان اثقل عليك بوجودي . كل ما اردته هو ان اخدمك ضمن الدائرة التي تروقك . ولكنني اشعر الآن بانك لست في حاجة إلى

خدماتي لا سيما وان زوجك في حالة من المرض لا تسمح له بالخروج . وإذا لم يكن قد اقدم على إحدى الحماقات وأعطى العقد إلى احد الناس فإن العقد يجب ان يكون مخبأ الآن في مكان ما في هذا المنزل . وقليل من البحث المنظم لابد أن يؤدي إلى العثور عليه .

ولكن لي كلمة أخيرة . إذا شعرت بحاجة إلي فاتصلي بي تليفونيا في مكتبي بين الساعة التاسعة والعاشرة مساء . إلى اللقاء يا سيدتي.

وقبل يدها مرة أخرى دون أن تجسر على معارضته .. وانصرف يمشي متبخترا كمن لا يقيم لشيء في الوجود وزنا .

وفي المساء . دعت "فاليري" مسيو "بيشو" مفتش البوليس وكلفته بتفتيش القصر والبحث فيه عن العقد .

ولما كان "بيشو" من رجال البوليس المحترمين واحد تلاميذ البوليس السري الفرنسي الشهير "جانيمار"فإنه بدأ عملية التفتيش بطريقة فنية منظمة فقسم القصر إلى أقسام .. فتشها الواحد تلو الآخر تفتيشا دقيقا .

وكان عقد اللؤلؤ مؤلفا من ثلاثة صفوف . اي انه كبير الحجم . فلو كان موجودا في القصر لما أمكن مع مهارة "بيشو" وبراعته ودقة تفتيشه ان يظل مختفيا .

وانتهز "بيشو" كذلك فرصة خروج البارون إلى حديقة القصر ذات يوم ففتش مخدعه وفراشه تفتيشا دقيقا .

وقضى "بيشو" في البحث ثمانية ايام امكنه بعدها ان يؤكد للبارونة "فاليري" أن العقد لايمكن أن يكون موجودا في القصر ..

ووجدت البارونة نفسها آخر الأمر مضطرة ان تطلب معونة "بارنيت" رغم نفورها منه . وتبرمها بأسلوبه اللاذع وابتسامته التهكمية ..

* * *

ولكن حدث فجاة حادث لم يكن احد ينتظر وقوعه بهذه السرعة . فتحرج الموقف بغتة . ذلك أن البارونة دعيت بعد ظهر احد الأيام إلى فراش زوجها . لأنه اصيب بازمة خطيرة . فاسرعت إليه ووجدته

ممددا على مقعد كبير بالقرب من قاعة "التواليت" . وقد انقلبت سحنته وبدا عليه انه يكاد يختنق . وانه يعاني المًا شديدا..

ذعرت "فاليري" . واتصلت بالطبيب تليفونيا ولكن البارون همس بصوت خافت :

- لقد فات الوقت . فات الوقت .

فهتفت البارونة :

- لا . أقسم لك إنك بخير حال .. وستشفى .

فحاول البارون أن ينهض . وقال :

- اريد ان اشرب ماء ..

واشار بإصبعه نحو صنبور الماء في غرفة التواليت .

فقالت له البارونه :

- ألا تشرب من ماء هذه الآنية الزجاجية ؟؟

- لا . لا .. اريد من ماء الصنبور . أريد ان اشرب من الماء الذي يجري في الانابيب ..

- لماذا هذا الإصرار . إن هذا الماء ..

- هذا ما أريده ..

وتهالك على الوسادة وظهرت عليه دلائل الجهد والإعياء الشديد . فخفت البارونة لإجابة طلبه . وفتحت الصنبور (الحنفية) فسال منه الماء . ثم جاءت بكوب ملأته بالماء قال لها :

- دعي صنبور الماء مفتوحا . اريد انْ اسمَع صوت انسياب الماء.

فدهشت البارونة ولكنها اطاعته . وازدادت دهشتها عندما قدمت إليه كوب الماء فرفض ان يتناوله ..

اوما براسه وهمس :فاقترب منه . والظاهر انه كان يخشى أن يسمع الخدم حديثه . لانه قال لها بلهجة الأمر :

- اقتربي . اقتربي أيضا ..

فترددت . ولكنها رات النظرة الصارمة المرتسمة في عيني زوجها ، فلم يسعها إلا الرضوخ . فركعت بجانب فراشه . وارهفت السمع . وغمغم البارون بصوت خافت والفاظ مضطربة لا تكاد تفهم :

- العقد . عقد اللؤلؤ . يجب ان تعلمي كل شيء . قبل .. قبل . أن

اذهب . إنك لم تشعري نحوي بعاطفة الحب قط . إنك تزوجت بي . من اجل ثروتي فقط ..

فارادت "فاليري" أن تحتج على هذه التهمة التي توجه إليها في ذلك الموقف الخطير . ولكن البارون امسك بيدها . واستطرد في الحال بلهجة الشخص الذي يهذي :

– إنك تزوجت بي من أجل ثروتي . وقد برهن سلوكك على ذلك . فلم تكوني قط مثال الزوجة المخلصة . ولهذا اردت أن اعاقبك بل إنني اعاقبك الآن . وفي هذه اللحظة ولذلك اشعر بسرور لا حد له . ألا تسمعين حبات اللؤلؤ . الا تسمعين سقوطها . وانحدارها في الهوة المظلمة التي لا نهاية لها . ما الذ هذا الانتقام يا "فاليري" . إن اللآلئ تسيل مع قطرات الماء . اسمعي ..

وقهقه البارون ضاحكا . صمت فورا حتى خارت قواه فحمله الخدم إلى فراشه . وبعد لحظة اقبل الطبيب واقبلت كذلك سيدتان عجوزان هما ابنتا عم البارون . وكان الخدم قد اخطروهما بأن حالة البارون المريض قد ساءت . فجاءتا على عجل . ورابطتا في مخدع البارون . وجعلتا ترقبان حركات "فاليري" وسكناتها . وهما على استعدادللدفاع عن الخزائن والأدراج ضد اي هجوم .أو اعتداء من جانب البارونة الحسناء .

ودخل البارون "إيسرمان" في دور الاحتضار . وكان نزعه طويلا مؤلما. واسلم الروح عند الفجر . دون أن ينطق بكلمة أخرى .

وفي الحال .. وبناء على طلب ابنتي عم البارون . اغلقت الدواليب والمكاتب والأدراج والخزائن التي في القصر بالشمع الأحمر .

* * *

وبعد يومين من دفن البارون . تلقت "فاليري" زيارة مسجل العقود الذي طلب أن يقابلها مقابلة خاصة .

وقد انقبض صدر البارونة حين رأت تجهم وجهه .

وعلامات الحزن والألم المرتسمة عليه .

قال لها :

– إنني جئت لاداء مهمة شاقة مؤلمة يا سيدتي البارونة . وبودي ان افرغ منها باسرع ما يمكن .

وأؤكد لك انني لم أوافق زوجك قط في رايه ووجهة نظره .

ولكنه كان في هذا الموقف شديد الصلابة وعلى الرغم من جميع الجهود التي بذلتها فإنه ..

فقاطعته البارونة

– اتوسل إليك ان تسرع بالكلام .

– المسألة يا سيدتي البارونة هي انه توجد بين يدي الآن الوصية الأولى . التي كتبها البارون "إيسرمان" منذ عشرين سنة واوصى لك فيها بكل ما يملك . ولكن يجب أن اقول لك إنه اسر إلي في الشهر الماضي انه كتب وصية اخرى . واوصى فيها بكل ثروته وجميع املاكه لابنتي عمه ..

– وهل توجد عندك هذه الوصية الثانية ؟؟

– بعد ان قراها البارون علي . وضعها في غلاف .

وخباها في درج مكتبه . وعبر عن رغبته في الا تفض الوصية وتذاع محتوياتها ومضمونها إلا بعد أسبوع من وفاته . وعلى ذلك فإن اختام الشمع الأحمر لا يمكن أن ترفع قبل هذا التاريخ .

وهنا ادركت البارونة لماذا نصحها زوجها منذ بضعة اعوام عقب إحدى المشاجرات العنيفة التي قامت بينهما بان تبيع جميع حليها وجواهرها . لتبتاع بثمنها عقدا من اللؤلؤ ..

إنه استبدل بعقد اللؤلؤ الصحيح آخر زائفا . وحرمها من الميراث وبذلك تركها بغير ثروة أو إيراد .

وفي اليوم السابق للتاريخ المحدد لرفع اختام الشمع الأحمر . وقفت سيارة فخمة . بشارع (دي لابورد) امام مكتب متواضع . على بابه لوحة كتبت عليها هذه الكلمات :

مكتب "بارنيت" وشركاه

مفتوح من الساعة الثانية إلى الساعة الثالثة

الاستعلامات والتحريات مجانا

ونزلت من السيارة سيدة ترتدي ثياب الحداد وقصدت إلى باب

المكتب . وقرعته . فسمعت صوتا يطلب إليها صاحبه ان تدخل . فدخلت . ثم سمعت هذا الصوت بعينه .. وهو صوت تعرفه حق المعرفة يصدر من غرفة أخرى داخل المكتب ويسأل عن اسم القادم . فأجابت السيدة :

- انا البارونة "إيسرمان" .

فهتف صاحب الصوت :

- آه . . ألف معذرة يا سيدتي البارونة . تفضلي بالجلوس ساحضر حالا ..

فجلست "فاليري" على أحد المقاعد . وأجالت الطرف حولها في أنحاء المكتب . كان المكتب عاريا من كل اثاث . سوى طاولة للكتابة ومقعدين عتيقين . أما الجدران فكانت جرداء . وليس بها أي إطار أو دولاب بل ولم تكن في المكتب كله قطعة واحدة من الورق . أو أي ملف للأوراق ..

كان التليفون الموضوع على الطاولة . هو الشيء الوحيد الذي يزين الغرفة . كما انه كان أداة العمل الوحيدة في ذلك المكتب .

وكانت توجد على طاولة الكتابة - عدا التليفون - صحفة بها بقايا لفافات تبغ ودخل "بارنيت" .

كان نشيطا باسما كالعادة (المونوكل) يتدلى فوق صدره من خيط حريري أسود .. أسرع في الحال إلى يد البارونة، وقبلها وانفجر يقول:

- كيف حالك يا سيدتي البارونة . لقد أولتني هذه الزيارة سرورا لا حد له . ولكن ماذا حدث ؟ أراك مرتدية ثياب الحداد ؟؟ أرجو الا يكون قد حدث أمر جلل !!

يا لله . هذا محزن جدا . لقد تذكرت . البارون "إيسرمان" . أليس كذلك ؟! يا لها من كارثة لاتحتمل . لقد كان رجلا وديعا دمث الخلق . وكان يحبك حبا جما . ولكن إلى أين كنا قد وصلنا معا في مقابلتنا الأولى ؟!

وأخرج من جيبه دفتر مذكرات صغيراً وبحث فيه ثم استطرد :

- البارونة "إيسرمان" . آه . تذكرت الآن . عقد مزيف . زوج سارق . سيدة حسناء . حسناء جداً .

كان يجب أن تتحدث إلي تليفونيا في يوم ...
ثم أعاد الدفتر إلى جيبه وقال محدثا البارونة في غير كلفة :
– يا سيدتي العزيزة . إنني لا ازال في انتظار حديثك التليفوني..

* * *

ووجدت البارونة نفسها مضطرة مرة اخرى لان تكون صريحة مع هذا المخلوق الساخر المقيت .
لم تكن تريد الظهور بمظهر الأرملة التي جاءت وفاة زوجها ضربة قاضية عليها . ولكنها مع ذلك لم يسعها إلا أن تشعر بالألم والخيبة . وبالخوف من المستقبل . والجزع من الفقر والحاجة .
والواقع . انها قضت الأيام الأخيرة في حالة يرثى لها . وفي جو يتراءى فيه شبح الخراب . والفقر . وكانت طول الوقت نهبة للأسف والندم والياس . وقد ترك ذلك كله أثره العميق الواضح . في تقاطيع وجهها ..
وقد آلمها كل الألم وحز في نفسها ان تسرد احزانها على هذا الشاب الطروب الساخر الذي لا يبدو أن يفهم حقيقة الموقف .
ولكنها كانت في الواقع مرغمة وليس لها أن تختار .

* * *

سردت عليه ما حدث بلهجة الرزانة والصلف . وتجنبت كل احتجاج على تصرفات زوجها . وكل تعليق على سلوكه حيالها . كل ما هنالك انها اعادت على سمع "بارنيت" اقوال مسجل العقود.
واصغى إليها "بارنيت" وهو يقول :
– كل هذا حسن . إن الحوادث متعاقبة بترتيب بديع .. نعم . إنني اشعر بسرور عظيم جدا للنظام الذي تعاقبت به حوادث هذه المأساة الغرامية الانتقامية الطريفة ..فقطبت "فاليري" حاجبيها وسالت بلهجة الاستنكار :
– تشعر بسرور عظيم جدا ؟؟
– نعم . ولا بد أن يكون صديقي المفتش "بيشو" قد شعر بمثل هذا

السرور . إنه أوضح لك كل شيء بغير شك !!

- أوضح ماذا ؟!

- أوضح ماذا ؟! .. الم يوضح لك "بيشو" حكاية صنبور الماء ؟؟ إذا كان قد اهتدى إلى معرفتها فلا بد انه ضحك كثيرا . لأنها في الواقع مهزلة أكثر منها مأساة . ولكنها مهزلة مدبرة تدبيرا حسنا.

وأؤكد لك انني أدركت سرها في الحال . حين ذكرت لي حكاية العامل الذي استقدمه زوجك ليصلح صنبور الماء في الجناح الخاص به . وفهمت الصلة الوثيقة بين عملية التصليح التي قام بها العامل . وبين خطة البارون "إيسرمان" ..

لقد قلت لنفسي في ذلك اليوم : إذا كان البارون قد استبدل بالعقد الصحيح آخر زائفا ، فلا بد انه أعد مخبأ عجيبا للعقد الثمين المختفي ذلك بغير شك كان جزءا من خطته وتدبيره . وإلا فاي سرور . واية لذة كان يشعر بها .

لو انه أخذ اللآلئ الصحيحة فقط لكي يلقي بها في نهر السين كاي شيء آخر عديم القيمة يراد التخلص منه ..

لو انه فعل ذلك لاعتبر انتقامه نصف انتقام . وليس انتقاما كاملا . إنما يكون الانتقام الكامل بوضع عقد اللؤلؤ في متناول يده . وإخفائه في مكان مأمون لا يمكن الاهتداء إليه . وذلك ما فعله البارون .

وقهقه "بارنيت" ضاحكا . واستطرد :

- إنني أتصور الآن زوجك الراحل .وهو يحدث العامل الذي استقدمه . ويخيل إلي انني اسمعه وهو يقول له : تامل هذا الصنبور أيها الصديق وتامل هذه الأنبوبة التي ينحدر فيها الماء إلى البالوعة . ومنها إلى الهوة التي تذهب إليها جميع قاذورات باريس .. إنك في استطاعتك أن تحني هذه الأنبوبة في هذه النقطة . فتكون الانحناءة أشبه بخزان يمر به الماء قبل انحداره إلي الهوة المظلمة التي لا قرارا لها . حسنا فعلت .. والآن . اصنع لي ثقبا في جانب الأنبوبة عند هذه الانحناءة . واصنع للثقب غطاء من المطاط (الكاوتشوك) . هذا حسن . هذا حسن ..

أشكرك كثيرا أيها الصديق . وأرجو أن يبقى الأمر سرا بيننا . فلا

يعلم أحد بوجود المخزن الصغير الذي صنعته لي في انبوبة البالوعة. هل اتفقنا على أن تلزم الصمت ولا تذكر كلمة واحدة لأي إنسان ؟؟ حسنا . اكرر لك شكري . خذ هذا المبلغ . به تستطيع السفر إلى بروكسل في قطار السادسة مساء . وخذ هذه التحويلات (الشيكات) المالية الثلاثة . تستطيع ان تقبض في كل شهر قيمة احدها . وبذلك تعيشن عيشة رغدة خلال الاشهر الثلاثة القادمة وتستطيع بعد ئد أن تعود إلى باريس . والآن الوداع أيها الصديق العزيز ..".

وكان "بارنيت" يتكلم ولا يحول بصره عن وجه البارونة ليرى تاثير كلامه . ووقع استنتاجاته في نفسها .

استطرد قائلا :

- وفي الليلة التي حدثت فيها تلك الضجة في مخدعك . استبدل البارون العقد الصحيح بالعقد الزائف ..

وفرط حبات اللؤلؤ . ووضعها في الخزان أو بمعنى آخر في الانحناءة التي صنعها العامل في انبوبة البالوعة . وحرص على الاحتفاظ دائما بمفتاح غرفة التواليت . ولما شعر بدنو اجله دعاك إليه وطلب قدحا من ماء الصنبور (الحنفية) .. لا من ماء الآنية الزجاجية وأصر على ذلك . فلم يسعك إلا الطاعة . وفتحت الصنبور بيدك . وهنا بلغ استمتاع البارون بلذة الانتقام غايته القصوى . كيف لا وقد جعلك تنتقمين من نفسك بيدك . لانك حين فتحت الصنبور .. و سال منه الماء . حمل الماد معه حبات اللؤلؤ الثمين حبة حبة . فهتف زوجك وهو ثمل بنشوة الانتقام : " الا تسمعين .. إن اللؤلؤ ينحدر إلى الهوة المظلمة التي لا قرار لها ".

أصغت البارونة إلى هذا الإيضاح المخيف وهي في اشد حالات الاضطراب والانزعاج وتبين لها مبلغ حقد زوجها عليها . وكراهيته لها.

وتبينت إلى جانب ذلك أمرا واضحا جليا .

غمغمت قائلة :

- إذن فقد كنت تعلم . كنت تعلم الحقيقة !

- اليست مهنتي ان ابحث عن الحقيقة يا سيدتي البارونة ؟

– كنت تعلم كل شيء . ومع ذلك لم تقل لي شيئا . لم تقل لي يوم تقابلنا ان العقد موضوع في ..

فقاطعها "بارنيت" :

– الذنب في ذلك ذنبك انت يا سيدتي البارونة لانك منعتني من ان اقول ما اعلمه .. وما كنت اوشك ان اعلمه . واخرجتني من حضرتك في شيء من القسوة والغلظة . ولما كنت رجلا رقيق الإحساس . فإنني لم الح ..

وبعد . أفلم يكن من الضروري أن اتحقق اولا من صدق حدسي وتخميني واستنتاجاتي !!

فغمغمت "فاليري" :

– وهل تحققت ؟؟

– بالتاكيد . بدافع الفضول لا غير ..

– متى ؟ في اي يوم ؟!

– في ذات الليلةالتي قابلتك فيها لاول مرة .

– في تلك الليلة بالذات ؟! استطعت في تلك الليلة أن تدخل القصر . وتصل إلى ذلك الجناح ؟ ولكني لم اسمع اية جلبة غير عادية ..

– ذلك لانني تعودت أن اعمل في غير جلبة او ضوضاء . وقد كان البارون "إيسرمان" ملازما فراشه كما تعلمين .. فلم يسمع كذلك شيئا . رغم انني ..

– رغم انك ؟!

– رغم انني اوسعت الثقب الموجود في انبوب البالوعة لكي اتحقق من وجود العقد . اعني الثقب الذي صنعه زوجك والعامل . وادخل فيه العقد ..

فمرت في جسم البارونة قشعريرة . وهتفت :

– إذن . إذن قد رأيت العقد ؟؟

– نعم رأيته .

– كان موجودا .؟!

– نعم كان موجودا .؟!

هنا قالت البارونة بصوت المختنق :

– إذن كان في استطاعتك ان . ان تاخذه .

– فهتف "بارنيت" في غير تردد :

– بالتاكيد يا سيدتي . ومن المؤكد انه لولاي . لذهبت اللآلئ إلى المصير السيئ الذي أراده لها البارون "إيسرمان" .و لانقذ زوجك انتقامه العجيب . واختفى هذا العقد البديع من الوجود ..

* * *

ولم تكن "فاليري" من النساء اللائي لا يستطعن ضبط عواطفهن والسيطرة على شعورهن او اللائي تنسيهن الظروف العصبية وصدمات الغضب مقتضيات اللياقة فيقدمن على أعمال تتنافى مع الرشاقة والنبل . ولكنها في هذا الموقف لم تستطع كتمان الغضب الشديد الذي استولى عليها فوثبت على "بارنيت" وصاحت وهي تحاول ان تطبق على عنقه :

– هذه سرقة . ما انت إلا مغامر. ما انت إلا محتال .

فهز "بارنيت" راسه في حزن . ولم يتحرك من موضعه وقال بصوت المتالم :

– مغامر . ومحتال .. لم أكن اتصور أن سيدة حسناء مثلك يطوع لها شعورها الرقيق أن تخدش ..

فقاطعته "فاليري" وهي ترتجف من شدة الغيظ :

– لا يمكن أن اسمح لأحد أن يخدعني . يجب أن تعطيني العقد. وفي الحال . وإلا ابلغت الأمر إلى البوليس .

فهتف "بارنيت" :-

– تبلغين البوليس ! ياله من خاطر غير موفق ! ولكن كيف يمكن بالله لا مراة حسناء مثلك أن تعامل بهذه الخشونة رجلا مخلصا نزيها مثلي ..

هزت كتفيها كمن لا يريد أن يسمع كلامه . وصاحت :

– أريد عقدي ..

– إن العقد تحت تصرفك يا سيدتي . هل تعتقدين أن "جيمس بارنيت" يسرق الناس ، الناس الذين يشرفونه باعمالهم ؟؟.

لو صح ذلك فماذا يكون مصير مكتب "بارنيت" وشركاه . الذي قامت شهرته الواسعة على النزاهة . والتجرد عن الهوى . وإنكار الذات وإهمال المصلحة الشخصية إهمالا تاما ؟

إنني لا أطلب فرنكا واحدا من عملائي فلو احتفظت بالعقد لحق لك أن تصفيني بانني مغامر ومحتال . ولكني رجل شريف . والدليل على ذلك انني اقدم لك عقدك . ها هو ذا العقد يا عزيزتي البارونة..

واخرج من جيبه كيسا صغيرا اخذ منه عقد اللؤلؤ الثمين ووضعه على المكتب .

ونظرت البارونة إلى اللآلىء في دهشة ثم اختطفتها بيد ترتجف.. لم تصدق عينيها . وسالت نفسها :

– ترى هل من الممكن ان يترك "بارنيت" العجيب هذا العقد الثمين بمثل هذه السهولة !!

وكانها خشيت أن يكون عمل "بارنيت" مجرد مناورة يرمي بها إلى غرض . . فارادت أن تفوت عليه غرضه واسرعت بالخروج دون ان تقول له كلمة واحدة ..

ولكنها لم تكد تصل إلى الباب . حتى سمعت "بارنيت" يقول وهو يضحك :

– ارى أن وقتك ضيق جدا يا سيدتي البارونة . ولا يسمح لك حتى بإحصاء حبات اللؤلؤ والتاكد من انها ٣٤٥ حبة حقيقية . ليست بينها حبات زائفة او مقلدة ..

فقالت "فاليري" :

– نعم . نعم . كلها حقيقية ..

– هل انت واثقة بذلك . واثقة من أن هذه اللآلىء هي التي قدر تاجر الجواهر ثمنها بخمسمائة الف فرنك !!

– نعم . إنها هي بعينها ..

– هل انت واثقة ؟

– نعم . نعم ..

– إذن في هذه الحالة اشتريها منك ..

– تشتريها مني ؟؟

ما معنى هذا ؟

– معنى هذا .. انك وقد حرمك زوجك من الميراث ..

وتركك بلا ثروة . ستضطرين حتما إلى بيع هذا العقد ..

من الخير لك إذن أن تبيعيه . لاسيما وانني سادفع لك عنه ثمنا يعادل في الواقع عشرين ضعف الثمن الذي يدفعه غيري . نعم . إنني اعرض عليك عشرة ملايين من الفرنكات ثمنا لهذا العقد .. لا خمسمائة الف فرنك كما يعرض غيري ..

ها . أراك ذهلت . الواقع . أن عشرة ملايين مبلغ لا يستهان به..

– عشرة ملايين !!

– نعم .. عشرة ملايين . هي على ما يقال .. قيمة ميراث (تركة) البارون "إيسرمان" ..

وهنا تحولت "فاليري" عن الباب بعد إذ كانت تهم بالخروج وقالت:

– قيمة ميراث زوجي ؟؟ لست أعرف الصلة بين الميراث والعقد.. فاوضح ما تقول ..

فقال لها بصوت هادىء عذب :

– الموضوع يمكن إيضاحه كما يلي : أيهما تختارين .. عقد اللؤلؤ أم الميراث؟؟

فرددت "فاليري" كلامه دون أن تفهم :

– عقد اللؤلؤ ! أم الميراث !

– نعم . الأمر يسير . فمسالة الميراث تتوقف كما قلت لي بنفسك – على وصيتين . الأولى لمصلحتك .. والثانية لمصلحة ابنتي عم زوجك . وهما عجوزان قيل لي إنهما تملكان ثرة قارون . فإذا فتحت الادراج ولم يعثر على الوصية الثانية . اصبحت الوصية الاولى هي النافذة المفعول .

فقالت البارونة بصوت اجش :

– غدا ترفع اختام الشمع . وتفتح الادراج . ويعثر القوم على الوصية الثانية ..

فابتسم "بارنيت" وقال :

– نعم يعثرون عليها إذ كانت موجودة . ولكنك إذا اردت معرفة رايي

المتواضع في هذا الصدد ..فإني اقول لك إنها ربما لم يعد لها وجود هناك ..

– هل هذا ممكن ؟؟

– ممكن جدا . بل مؤكد . لانه يخيل إلي انني انتهزت فرصة وجودي في الجناح الخاص بزوجك في تلك الليلة التي فحصت فيها البالوعة للتاكد من وجود العقد . فقمت بزيارة غرفة مكتبه . وكان المرحوم وقتئذ يغط في نومه ..

– واخذت الوصية !!

– اظن ذلك . واعتقد انها هي هذه الوريقة ..

واخرج من جيبه ورقة بسطها امام "فاليري" فعرفت فيها خط زوجها البارون "إيسرمان" . وقرات فيها هذه العبارة :

"انا الموقع على هذا "ليون جوزيف إيسرمان" اقر ان زوجتي لم يعد لها حق –لاسباب تعرفها هي تمام المعرفة – في ان تطالب لنفسها بقليل او كثير من الميراث الذي .."

ولم تستطع "فاليري" المضي في قراءة الوصية التي حرمتها من ميراث زوجها . فتهالكت على احد المقاعد وهتفت :

– إنك سرقت هذه الوصية . ولست أحب أن أكون شريكتك في هذه السرقة .

وبعد . فإن إرادة زوجي المسكين يجب أن تنفذ .

فقال "بارنيت" بحماسة :

– ما اجمل سلوكك هذا ايتها الصديقة العزيزة . إن الواجب يقضي عليك بالتضحية لإنفاذ إرادة زوجك . وانا اقر سلوكك هذا واحبذه واهنئك عليه لا سيما وأن التضحية جسيمة . . ومؤلمة . ومن المؤكد انه يشق على الإنسان أن يتنازل عن مبلغ جسيم كهذه الملايين العشرة . لعجوزين شمطاوين لا تستحقانه . كما انه يشق على الإنسان أن يرى الحسناء التي كرست حياتها وشبابها لإسعاد زوجها تحرم من ثروته بعد موته . ولكن كيف بالله تقبلين مثل هذا الحرمان يا سيدتي البارونة ؟؟ كيف تقبلين بعد أن توفرت على العناية بزوجك هذه السنين الطوال ان تقضي انت بقية حياتك محرومة من النعيم الذي

تستحقينه. لا لجرم اقترفته إلا إنك اصغيت مرة او مرارا إلى صوت قلبك وحرارة عاطفتك ونزق شبابك !!

من المؤلم أن تعيش "فاليري" الحسناء في فقر مدقع ..

لذلك ارجوك يا سيدتي البارونة العزيزة أن تفكري في الأمر مليا، وأن تقدري عملك ونتائجه ..

إذا وقع اختيارك على العقد . فيجب أن اقول لك تجنبا لكل سوء تفاهم بيننا إن الوصية الثانية تصل إلى يد مسجل العقود غدا صباحا فتحرمين من الميراث ..

- وإلا !!

- وإلا يرى احد الوصية الثانية او يسمع عنها . وبذلك ترثين تركة زوجك كلها .. عشرة ملايين من الفرنكات تؤول كلها إليك . بفضل "جيمس بارنيت" .

وكان "بارنيت" يتكلم بلهجة التهكم والسخرية . فاحست البارونة بنفسها فريسة لا حول لها ولا قوة في قبضة هذا المخلوق الجهنمي .

وجدت انها لاتستطيع المقاومة او الإفلات . فإذا هي لم تترك له العقد . اذيع امر الوصية الثانية . وهذه الوصية لا تحرمها من الميراث فقط . ولكنها تجلب العار وسوء السمعة والفضيحة .

كلا إنها لا تستطيع شيئا حيال هذا الخصم القوي الخبيث . ومن المؤكد أن كل توسل سيذهب أدراج الرياح . لانه لن يتراجع .

وكانما اراد "بارنيت" أن يترك لها فرصة للتفكير . لانه تسلل في هدوء من الباب الجانبي . إلى الغرفة الخلفية التي يفصلها عن غرفة المكتب جدار رقيق مغطى بالورق المزخرف .

وبعد لحظة يسيرة . عاد إلى غرفة المكتب . وعندئذ رات البارونة امامها مخلوقا آخر ..

رات امامها شابا رشيقا انيقا اكثر فتوة واجمل ملامح ..

ويرتدي ثوبا على احدث طراز يختلف اختلافا عظيما عن ذلك المعطف العتيق الذي يميل لونه الأسود إلى الاخضرار .

جلس امام مكتبه واشعل سيجارا بكل هدوء وطمانينة شان الرجل الشريف .. والواثق بنفسه .. الذي لا يجد سبيلا للوشاية به. وخيانته

ولا غرابة في ذلك . فالبارونة لا تجسر أن تقول عنه كلمة واحدة لإنسان. حتى ولا لصديقها المفتش "بيشو" . لأن الوشاية به .. تشمل ضمنا الوشاية بنفسها ..

نعم كان من المؤكد أن السر سيبقى إلى الأبد طي الكتمان انحنى نحوها قليلا وقال وهو يضحك :

- يخيل إلي أنك بدأت ترين الحقائق بوضوح أعظم ..

وذلك حسن ..

وبعد .. فإذا انت تحليت في المستقبل بعقد من اللؤلؤ الزائف . فمن ذا الذي يخطر له أن "فاليري" الحسناء التي تملك الملايين تتحلى بعقد زائف ؟؟ لا أحد يخطر له ذلك . لا أحد .

وهكذا تستطيعين أن تربحي معركة مزدوجة .. وأن تحرزي انتصارين .. فتنالي حقك المشروع من ثروة زوجك والعقد المصطنع الذي سيتوهم جميع الناس انه حقيقي .

نتيجة بديعة . اليست كذلك ؟! نتيجة تستطيعين معها أن تنعمي بالحياة الرغدة السعيدة . بما فيها من مختلف أنواع اللهو والتسلية. والحماقات . وكانت "فاليري" أبعد من أن تفكر في ارتكاب إحدى الحماقات في هذا الموقف الدقيق .

فنهضت واقفة والقت على "بارنيت" نظرة حقد وبغضاء ثم تركت العقد على المكتب ..

وانصرفت مرفوعة الراس في عظمة وكبرياء وشيعها "بارنيت" بنظرة ساخرة حتى خرجت ثم عقد ساعديه فوق صدره.. وقال بلهجة الاشمئزاز والاستنكار .

- ها هي ذي امرأة يقولون إنها شريفة . قد حرمها زوجها من ثروته عقابا لها على تبذلها . ولكنها لا تقيم وزنا لإرادة زوجها .

توجد وصية ولكنها لا تريد أن تعبا بها ومسجل عقود . تريد أن تهزأ به .. وامرأتان عجوزان . تطوع لها نفسها أن تسلبهما حقوقهما.. فما أسفلها . وما اجمل ان يقوم الإنسان بدور المنتقم العادل

والقاضي المنصف فيعطي كل ذي حق حقه .. ويضع كل شيء في موضعه الحقيقي .

ثم هز رأسه .. ووضع العقد في موضعه الحقيقي ..

أي في جيبه . ثم ثبت "المونوكل" على عينه . وانصرف من مكتب (بارنيت وشركاه) .

-٢-

رسالة غرام من الملك "جورج"

كان "جيمس بارنيت" ممددا في مقعده بمكتب "بارنيت وشركاه" حين سمع طرقا بالباب الخارجي . فصاح دون أن يتحرك من مكانه :

- ادخل .

ولكنه لم يكد يرى القادم حتى هتف :

- اهذا انت يا "بيشو" . جميل منك ان تتكرم بزيارتي .

كيف حالك أيها الصديق العزيز ؟!

وكان "بيشو" يختلف عن زملائه مفتشي البوليس . بعنايته الشديدة بثيابه وأناقته .

كان طويل القامة نحيفا .. ممتقع اللون .. أظهر ما فيه ساعداه الطويلان القويان .. اللذان كان يبدو كانه استعارهما من أحد أبطال الوزن الثقيل .

وكان "بيشو" شديد الفخر بساعديه القويين ..

قال :

- كنت مارا بهذا الشارع فقلت لنفسي إن "بارنيت" اعتاد أن يقضي هذه الساعة في مكتبه . فإذا ذهبت إليه .

فاكمل "بارنيت" كلامه :

- لاستشارته . وطلب معونته .

فقال "بيشو" الذي كان يدهشه دائما ذكاء "بارنيت" وحدة ذهنه :

- ربما كانت زيارتي لهذا الغرض كذلك .

ولكن "بارنيت" رأى على وجهه علامات التردد .. فاعتدل في مكانه وقال :

- ارى انك تجد مشقة في الكلام . فماذا تريد . أو بالأحرى ماذا حدث .

فضرب "بيشو" المكتب بيده القوية . ضربة قذفت بسماعة التليفون بعيدا وقال :

- نعم . الواقع انني متردد قليلا يا "بارنيت" .. إننا عملنا معا في ثلاث حوادث . انا بصفتي مفتش بوليس وانت بصفتك بوليس سريا خاصاً تعمل لحسابك . وفي كل مرة كان الشخص الذي يستخدمك ويطلب معونتك - واخص بالذكر البارونة "إيسرمان" - يفترق عنك وفي نفسه الشيء الكثير من المرارة .

فقاطعه "بارنيت" بقوله :

- كما لو كنت انتهز الفرصة للنصب على زبائني . وابتزاز اموالهم..

- كلا لا اريد أن اقول شيئا من ..

فربت "بارنيت" على كتفه وقال :

- يا عزيزي المفتش "بيشو" . إنك لا تجهل شعار مكتب "بارنيت وشركاه" وشعارنا هو عمل جميع التحريات والقيام بكل الاستعلامات مجانا .. وانا اقسم لك بشرفي إنني لا اطالب عملائي بفرنك واحد . ولا اقبل منهم فرنكا .

فتنفس "بيشو" بارتياح وقال:

- شكرا لك . انت تعلم أن ضميري ومقتضيات وظيفتي لا يسمحان لي بالتعاون مع أحد إلا إذا توفرت فيه شروط خاصة .

ولكن اصدقني القول - ومعذرة عن فضولي - ما مصادر إيراد مكتبكم؟!

- هذا المكتب يتلقى إعانات من اشخاص محبين لخير الإنسانية يصرون على كتمان اسمائهم .

- والآن . اين وقع الحاددث الذي ساقك إلى هنا !

- وقع بالقرب من "مارلي" . وهو حادث مقتل رجل متقدم في السن يدعى "فوشيريل" . الم تسمع شيئا عن هذا الحادث !

- لا اتذكر على وجه التحقيق .

- ذلك لا يدهشني . فالصحف لم تقدر بعد أهمية الحادث على الرغم من غرابته وشذوذه .

- الرجل قتل بطعنة سكين أليس كذلك ؟

- بلى . طعنة اصابته بين كتفيه من الخلف .

– وهل وجدت آثار بصمات اصابع على مقبض السكين ؟
– لا . ومما لاشك فيه ان مقبض السكين كان ملفوفا بقطعة من الورق وقد وجدت قطعة الورق محترقة ..
– الا يوجد اي دليل او اثر ؟!
– كلا . لا يوجد اي دليل او اثر سوى الاضطراب الذي شوهد في المنزل وانقلاب بعض قطع الاثاث .
وقد لوحظ فضلا عن ذلك ان درجا في احد المكاتب قد كسر عنوة ولكن لم يكن في الإمكان معرفة الدافع إلى كسره وتحطيمه . ولا الشيء أو الأشياء التي اخذت منه .
– وإلى اية نقطة وصل التحقيق ؟
– سيقوم المحقق الآن بمواجهة مسيو "ليبوك" – وهو موظف متقاعد
– بالإخوة "جودو" وهم ثلاثة إخوة اشرار لهم سمعة سيئة جدا . ذلك لأن كلا منهم يتهم الجانب الآخر بالقتل دون ان يوجد اي دليل أو برهان يؤيد زعم إحدهما .. فهل تريد ان تذهب معي الآن بالسيارة لحضور التحقيق والمواجهة !
– هلم بنا !
– لي كلمة اخرى يا "بارنيت" . إن مسيو "فورمري" الذي يقوم بتحقيق الحادث يريد أن يلفت إليه الانظار ليسند إليه منصب في "باريس" . هو رجل شديد الحساسية والتاثر سريع الانفعال . ولا اعتقد انه يطيق مواقف التهكم والسخرية التي تقفها من رجال العدالة في بعض الأحيان .
– اطمئن يا "بيشو" .. اعدك بان اقف منه الموقف الذي يستحقه.
كانت توجد في منتصف الطريق بين بلدة "فونتين" وغابة "مارلي" . قطعة من الأرض منبسطة يفصلها عن الغابة نطاق من الأشجار المرتفعة وكان يوجد في وسط هذه الأرض منزل صغير يتكون من طابق واحد . يقيم به مستاجر المنزل والارض وهو رجل متقدم في السن يدعى "فوشيريل" عرف عنه انه شديد الشغف بالكتب القديمة وانه يملك مكتبة لا باس بها . وانه لا يبرح منزله الصغير الانيق وقطعة الأرض التي تحيط به . والتي كانت تنبت الخضر والزهور إلا ليسافر إلى

"باريس" لاقتناص بعض الكتب .

وكان مشهورا عن هذا الرجل أنه شديد البخل . واسع الثروة .. على الرغم من الحياة المتواضعة التي كان يحياها . ولم يكن يستقبل في منزله أحدا سوى صديقه الحميم السيد "ليبوك" الذي كان يقيم في (فونتين) .

وصل "بارنيت" والمفتش "بيشو" إلى المنزل الذي وقعت فيه الجريمة وكان مسيو "فورمري" قاضي التحقيق ومعه وكيل النيابة يسيران في حديقة المنزل باحثين منقبين بعد أن فرغا من استجواب السيد "ليبوك". فذكر "بيشو" اسمه لرجال البوليس الذين أحاطوا بالمكان لمنع الفضوليين من الاقتراب فسمحوا له ولزميله "بارنيت" بالدخول

ولحق "بارنيت" و"بيشو" بالمحقق ووكيل النيابة في الوقت الذي بدأ فيه استجواب الإخوة الثلاثة . "بيير جودو" وشقيقيه الذين أمر المحقق بوضعهم تحت الحراسة خلف المنزل . تمهيدا لمواجهتهم بالسيد "ليبوك" الذي يتهمهم ويتهمونه .

وكان هؤلاء الإخوة الثلاثة يشتغلون عند من يستخدمهم من أصحاب المزارع وقد اشتهروا بسوء السلوك .

أجاب "بيير جودو" – وهو أكبر الإخوة الثلاثة – على سؤال ألقاه عليه المحقق بقوله :

– نعم يا سيدي . إننا وثبنا من هنا لنجدة القتيل ...

– ومن أين كنتم قادمين ؟

– من "فونتين" كنا عائدين من العمل حوالي الساعة الثانية . فقابلتنا مدام "دنيس" على قارعة الطريق بالقرب من هنا وكنا نتحدث معها عندما سمعنا صرخات الاستغاثة .

أدركنا في الحال أن الصرخات صادرة من هذا المنزل المنفرد..

فأسرعنا لنرى ما الخبر . ووثبنا فوق السور المحيط بالمنزل ، واجتزنا الحديقة .

وهنا قاطعه قاضي التحقيق.

– وأين كنت عندما فتح باب المنزل ؟

فأجاب "بيير جودو" . وهو يشير إلى المكان :

- كنا في هذه البقعة .

فقال قاضي التحقيق :

- اي على بعد خمسة عشر مترا تقريبا من السلم المؤدي إلى الباب.حسنا . وماذا رأيتم عندما فتح الباب ؟!

- رأينا السيد "ليبوك" نفسه . رأيناه كما نراك الآن يا سيدي القاضي . رأيناه يفتح الباب ويندفع إلى الخارج كمن يريد الفرار. ولكنه رآنا فعاد ادراجه إلى داخل المنزل .

- هل انت واثق بانه كان هو بعينه ..

- اقسم انه هو بعينه ..

فسال القاضي شقيقيه :

- وانتما ؟؟ هل انتما واثقان كذلك ؟؟

فاجابا :

- نعم . ونحن على استعداد لأن نقسم ..

- الا يمكن أن تكونوا قد اخطاتم ؟!

فاجاب اكبر الإخوة :

- كيف نخطئ وهو يقيم بالقرب منا في "فونتين" منذ خمسة أعوام وقد كنت أحمل إليه (اللبن) في بعض الأحيان .

وهنا اصدر قاضي التحقيق امرا .. ففتح باب المنزل وخرج منه رجل في نحو الستين من عمره ضاحك السن .. يرتدي ثوبا انيقا وقبعة من القش .

فصاح الإخوة الثلاثة بصوت واحد :

- سيد "ليبوك" ..

فهمس وكيل النيابة في اذن قاضي التحقيق .

- إن قصر المسافة يجعل من المستحيل على الإخوة الثلاثة ان يخطئوا معرفة السيد "ليبوك" أو بمعنى آخر . معرفة القاتل . حين حاول الفرار .

فقال قاضي التحقيق :

– هذا صحيح . ولكن ترى هل يقولون الصدق ؟ وهل هم رأوا السيد "ليبوك" حقا ؟ لنواصل التحقيق .

* * *

ودخل الجميع المنزل ، وقصدوا إلى غرفة واسعة قد غطيت جدرانها بصفوف الكتب ولم يكن بهذه الغرفة من الأثاث عدا المكتب الذي وجد أحد أدراجه محطما غير صورة ملونة كبيرة بالحجم الطبيعي تمثل مسيو "فوشيريل" القتيل جالسا يقرأ .

سال قاضي التحقيق أكبر الإخوة .

– عندما دخلتم المنزل يا "جودو" . ألم تروا السيد "ليبوك" مرة أخرى؟!

– لا . إننا سمعنا أصوات الأنين والحشرجة منبعثة من هذه الغرفة فقصدنا إليها في الحال .

– وهل وجدتم "فوشيريل" على قيد الحياة .

– وجدناه أقرب إلى الموت منه إلى الحياة . كان ملقى ووجهه على الأرض والسكين بين كتفيه . فركعنا بجواره وسمعناه يتمتم كلاما .

– وماذا سمعتم من كلامه ؟

– لم نسمع غير كلمة واحدة . هي اسم السيد "ليبوك" وقد ردد هذا الاسم مرارا . قائلا "ليبوك" . ثم خمدت حركته وأسلم الروح . فانطلقنا في أنحاء المنزل للبحث عن السيد "ليبوك" . ولكننا لم نعثر له على أثر..

وأكبر الظن أنه وثب إلى الخارج من نافذة المطبخ – وكانت مفتوحة – وأنه لاذ بالفرار بعد ذلك سالكا الطريق الوعر المغطى بالحصى والحجارة . الذي يوصل حتى منزله .

وعلى أثر ذلك ذهب ثلاثتنا إلى إدارة البوليس و أبلغناها ما حدث .

* * *

ومن ثم ألقى قاضي التحقيق بضعة أسئلة أخرى على الإخوة الثلاث فجاءت الأجوبة مؤيدة للتهمة الصريحة التي يوجهونها إلى

السيد "ليبوك" وبعدئذ تحول القاضي إلى هذا الأخير لإعادة استجوابه فيما قاله الإخوة الثلاثة .

وكان السيد "ليبوك"قد أصغى إلى كلام متهميه الثلاثة دون أن يقاطعهم ودون أن يتغير شيء من ملامحه الهادئة الرزينة .. كأنه كان واثقا من أن قصة الإخوة "جودو" هي من الغباء والقحة بحيث لا يمكن لرجال العدالة أن يصدقوها . وكأن أقوالهم لا تستحق مجرد الاهتمام بالرد عليها وتكذيبها ..

ساله قاضي التحقيق :

- هل عندك جديد تريد أن تقوله يا سيد "ليبوك" !

فأجاب :

- لا جديد عندي يا سيدي القاضي .

- ألا تزال تؤيد ..

فقاطعه السيد "ليبوك"بقوله :

- بلى . لا أزال أؤيد ما تعلمه وتؤمن به أنت كذلك يا سيدي القاضي: وهو الحقيقة .

إن جميع أهل (فونتين) الذين استجوابتهم أو أمرت باستجوابهم قد أجابوا بقولهم (إن السيد "ليبوك" لا يبرح منزله قط خلال النهار ..) وإن خادم المطعم يأتيه بالطعام ظهركل يوم . فيتناوله . ثم يقضي الوقت من الساعة الواحدة إلى الساعة الرابعة جالسا بجوار النافذة يقرأ ويدخن غليونه . وقد كان الجو صحوا يوم وقعت الجريمة .

ففتحت النافذة التي تعودت الجلوس بجانبها . وهي نافذة لا يفصلها عن الطريق العام سوى الحديقة . وقد رآني خمسة أشخاص - كما اعتادوا أن يروني كل يوم من خلال سور الحديقة - وأناجالس أقرأ وأدخن .

فقال قاضي التحقيق :

- إنني استدعيت هؤلاء الخمسة لإعادة استجوابهم .

- حسنا فعلت . وهم سوف يؤيدون أقوالهم السابقة .

ومادام مستحيلا يا سيدي القاضي أن أكون في مكانين مختلفين في وقت واحد . فمن المحقق إذن أنني لم أكن في بيت صديقي "فوشيريل"..

وان هذا المسكين لم ينطق باسمي وهو يحتضر . وان هؤلاء الإخوة الثلاثة كذابون منافقون .

– ولذلك فانت ترد إليهم تهمة القتل ؟

– هذا مجرد استنتاج .

– ولكن لا تنس أن السيدة "دنيس" التي ذكر الإخوة الثلاثة انهم كانوا يتحدثون إليها عندما سمعوا صيحات الاستغاثة . قد قررت انها كانت تتحدث إليهم حقا حين دوت الصيحات ..

– بل قررت يا سيدي القاضي انهاكانت تتحدث مع اثنين منهم فقط فاين كان الثالث ؟

– كان واقفا وراءها .

– هل رأته ؟

– تظن انها رأته . ولكنها غير واثقة ..

– إذن من يثبت لك يا سيدي القاضي أن الثالث لم يكن في ذلك الوقت بسبيل الفتك بصديقي "فوشيريل" المسكين !

ومن يثبت أن الشقيقين عندما سمعا أصوات الاستغاثة .

وثبا إلى داخل المنزل لا لإغاثة القتيل وإنما للإجهاز عليه وخنق استغاثته .

– إذا صح ذلك . فلماذا يوجهون تهمة القتل إليك انت بصفة خاصة دون سائر الناس .

– إنني املك غابة صغيرة للصيد والقنص وهؤلاء الإخوة الثلاثة معروفون بانهم أشرار ولصوص . وقد قبض عليهم مرتين بإرشادي . وضبطوا وهم في حالة تلبس بسرقة الأرانب البرية من غابتي . وصدرت ضدهم احكام ..

فلما وجدوا الآن انفسهم مضطرين مهما كلفهم الأمر أن يلصقوا التهمة باي إنسان آخر . حتى لا تلصق بهم ..

فكروا في أن ينتقموا مني ويتخلصوا في الوقت نفسه بتوجيه التهمة إلي ..

– هذا مجرد استنتاج كما قلت . ولكن لماذا تظنهم قتلوه !

– هذا ما أجهله .

- اليست لديك اية فكرة عن شيء يستحق أن يسرق من هذا الدرج !
- كلا يا سيدي القاضي . إن صديقي "فوشيريل" المسكين لم يكن غنيا كما يعتقد الكثيرون . وقد اودع ثروته القليلة احد المصارف . فلم يحتفظ بشيء منها هنا .
- الم يكن يحتفظ هنا بشيء ذي قيمة ؟
- كلا ..
- وكتبه ؟
- ليست لها قيمة تذكر . وتستطيع أن تتاكد من ذلك بنفسك . والواقع أن عدم وجود كتب قيمة في هذه المكتبة كان من دواعي حزن صديقي المسكين "فوشيريل" . فإنه كان يتمنى دائما الحصول على بعض الكتب النفيسة و المطبوعات النادرة . ولكنه لم يكن يملك المال الكافي ولم تكن حالته المالية تساعده على ابتياع كل ما يريد .
- الم يتحدث إليك قط عن الإخوة "جودو" !
- لا . الواقع .. إنني رغم رغبتي الشديدة في الانتقام لصديقي المسكين . فانا لا أريد أن اقرر شيئا يخالف الحقيقة .
وهكذا لم تسفر مواجهة السيد "ليبوك" بالإخوة الثلاثة عن جديد. وانتقل الجميع بعد ذلك إلى بيت السيد "ليبوك"في "فونتين".
كان المنزل يقع في طرف البلدة . وهو يتالف من طابق واحد . وتحيط به حديقة يفصلها عن الطريق العام سور مصنوع من الحديد المتشابك .
وقد طلب قاضي التحقيق إلى السيد "ليبوك" ان يجلس بجانب النافذة كما كان يجلس يوم وقوع الجريمة . فجلس ووضع كتابا على ركبتيه . وتظاهر بانه يقرأ وغليونه في فمه ..
وكان سور الحديقة يبعد عن النافذة بما يقرب من خمسة عشر مترا فلم يكن من الممكن إذن أن يخطئ المار بالطريق في معرفة الجالس بالنافذة .
وقد جيء بالشهود الخمسة وهم من المزارعين والتجار بالمدينة . فاكدوا جميعا انهم رأوا السيد "ليبوك" جالسا في النافذة يقرأ ويدخن وقد رأوه في اوقات مختلفة بين الساعة الواحدة والساعة الرابعة بعد

ظهر اليوم الذي وقعت فيه الجريمة . وبذلك تأكد قاضي التحقيق ولم يبق لديه أدنى شك في أن السيد "ليبوك" كان في منزله ساعة وقوع الجريمة.

ولم يكتم قاضي التحقيق حيرته عن المفتش "بيشو" . وعن صديقه "بارنيت" الذي قدمه "بيشو" إلى القاضي على اعتبار أنه بوليس سرى خاص . على جانب عظيم من الذكاء وبعد النظر . وسعة الحيلة ..

التفت قاضي التحقيق إلى "بارنيت" وقال :

- حادث غامض شديد التعقيد . فما قولك فيه يا سيدي ؟

وقال "بيشو" محدثا "بارنيت" وهو يغمز ليذكره بان يلزم جانب الأدب كما وعد :

- نعم . ما قولك يا "بارنيت" !

وكان "بارنيت" قد راقب بكل دقة واهتمام جميع أدوار التحقيق الذي أجري أمامه في منزل القتيل . وفي منزل السيد "ليبوك" .. وعبثا حاول "بيشو" خلال ذلك أن يعرف رأيه في الجريمة . لأن "بارنيت" كان يجيب عن جميع أسئلته يهز رأسه . وتمتمة ألفاظ غير مفهومة.

أما في هذه المرة فإنه أجاب عن سؤال قاضي التحقيق بان قال في لطف :

- نعم . الواقع أنه حادث معقد وشديد الغموض يا سيدي القاضي .

فاستطرد قاضي التحقيق بحماسة :

- أليس كذلك ! إن كفتي الميزان بين الجانبين متعادلتان .

فهناك من الأدلة القاطعة ما يثبت أن السيد "ليبوك" لم يبرح منزله بعد ظهر اليوم الذي وقعت فيه الجريمة .. ولكن توجد إلى جانب ذلك أقوال الإخوة الثلاثة . وهي تبدو معقولة وقابلة للتصديق.

- الواقع . أن أقوال الجانبين معقولة . ولكن أي الجانبين هو الأيسر. وأيهما هو الأيمن . أو بمعنى آخر . أي الطرفين حقيق بان تحوم حوله الشبهات ..

الإخوة الثلاثة ذوو الوجوه البشعة الذين عرفوا بسوء السيرة . أو السيد "ليبوك" هذا الرجل الرزين الوقور . الضاحك السن ؟

وهل يحق لنا أن نعتبر وجوه أبطال هذه المأساة معبرة عن الأدوار

التي قاموا بها ؟ وبذلك يكون السيد "ليبوك" بريئا ويكون الإخوة الثلاثة هم المجرمون ؟

فقال السيد "فورمري" بارتياح .

- صفوة القول إنك لم تتقدم في الموضوع اكثر مما تقدمنا فقال "بارنيت" بلهجة التاكيد :

- بل تقدمت كثيرا جدا .

فعض قاضي التحقيق شفته وقال :

- في هذه الحالة يجوز أن تحدثنا بما لديك .

- سافعل ذلك في الوقت الذي أراه مناسبا . اما الآن . فإنني أرجو سيدي قاضي التحقيق أن يسمع اقوال شاهد جديد ؟

- شاهد جديد ؟

- نعم .

فانقلبت سحنة السيد "فورمري" وسال :

- وما اسمه و عنوانه ؟

- ماذا تعني يا سيدي ؟

وهنا شعر "بيشو"بالقلق . ونظر إلى "بارنيت" نظرة عتب ولوم ..

ولكن "بارنيت" هز كتفيه . واشار بإصبعه نحو "ليبوك" الذي كان لا يزال جالسا أمام النافذة يدخن . وقال بلهجة الواثق :

- توجد في محفظة السيد "ليبوك" بطاقة بها عدة ثقوب . وعلى هذه البطاقة يوجد اسم الشاهد المطلوب وعنوانه .

فدهش قاضي التحقيق . ولكن "بيشو" لم يدهش . بل اسرع في الحال إلى السيد "ليبوك" وجاء به إلى حيث كان المحقق وزملاؤه .. وهناك طلب إليه أن يخرج محفظته ثم اخذ منه المحفظة. وفتشها..

ولشد ما كانت دهشة الجميع حين أخرج "بيشو" من المحفظة بطاقة زيارة بها عدة ثقوب ..

تناولها . ووجد مكتوبا عليها : (الانسة إليزابيث لوفندال" - فندق جراند أوتيل فندوم - باريس) .

وكان العنوان الأخير مكتوبا بالقلم الرصاص .

وهنا تبادل قاضي التحقيق ووكيل النيابة نظرة تدل على الدهشة

والإعجاب .

أما السيد "ليبوك" . فإنه صاح . دون أن يظهر عليه شيء من دلائل الحيرة :

– ياالله .. هذه هي البطاقة التي بحث عنها صديقي التعس "فوشيريل" طويلا دون جدوى .

– لماذا بحث عنها ؟

– لا اعلم يا سيدي القاضي . ولكن من المؤكد انه كان يريد العنوان المكتوب عليها ؟

– وما هذه الثقوب ؟

– فابتسم "ليبوك" واجاب :

– هذه الثقوب هي اثر الدبوس الذي كنا نثبت به البطاقة على طاولة الشطرنج . حين كنت وزميلي "فوشيريل" نضطر إلى ترك اللعبة على حالها . بسبب حلول وقت تناول الطعام .

ومتى عدنا لاستئناف اللعب . كان موضع هذه البطاقة من رقعة الشطرنج يتخذ دليلا على إينا يجب ان يبدأ اللعب .

ومما لاشك فيه انني وضعت هذه البطاقة في محفظتي سهوا .

وكان هذا التعليل معقولا كذلك فقبله قاضي التحقيق على علاته . وانصرف اهتمامه إلى معرفة كيف استطاع "بارنيت" ان يعلم بوجود البطاقة في محفظة شخص لم يسبق له أن رآه .

ولكن ابتسم بلطف . ولم يجب القاضي بما يشفي غليله ويشبع فضوله . واكتفى بان الح في طلب استجواب الآنسة "إليزابيث لوفندال" فلم يجد قاضي التحقيق بدا من إجابته إلى طلبه.

دلت التحريات على أن الآنسة "لوفندال" لم تكن وقتئذ في "باريس" . وانها أخطرت الفندق الذي نزلت فيه بانها ستعود بعد اسبوع . فلم يتقدم التحقيق كثيرا خلال هذه المدة . ولكن ذلك لم يمنع مسيو "فورمري" من البحث وعمل الاستنتاج . حتى لا يهزا به رجل مقيت مثل "بارنيت" .

وفي اليوم المحدد لسماع اقوال الآنسة "لوفندال" تقابل "بيشو" و "بارنيت" في بيت مسيو "فوشيريل" . ودار بينهما حديث فقال الأول:

- إنك اوقفت مسيو "فورمري" موقفا حرجا .. وضايقه بصفة خاصة انك لم تشا مصارحته بوجهة نظرك .

واكبر الظن انه اعتزم عدم قبول مساعدتك .

فساله "بارنيت" :

- هل معنى ذلك أن انسحب ؟

- لا . إنما أعتقد انه وضع لنفسه خطة للعمل يظن انها توصله إلى الغاية قبلك .

- اتمنى له ذلك . وإن كنت أعتقد انه وفق إلى اخطا الخطط . واننا سوف نضحك منه ملء أشداقنا .

- ارجوك أن تعامله بالاحترام يا "بارنيت" .

- ساعامله باعظم احترام . . وانت تعلم انني لا غرض لي من منافسته . وأن مكتب (بارنيت وشركاه) لا يسعى وراء مصلحة .. فنحن نقوم بالعمل مجانا . ولا نضع شيئا في جيوبنا . ولكن هذا لا يمنعني من أن أؤكد لك أن صديقك "فورمري" ثقيل الظل وانني لا اطيقه.

وكان السيد "ليبوك" قد وصل قبل أي شخص آخر ..

بعد لحظة أقبلت الآنسة "لوفندال" في سيارة . ثم جاء بعدها مسيو "فورمري" قاضي التحقيق وكان في هذه المرة مشرق الوجه. تبدو عليه علامات الارتياح فلم يكد يقع بصره على "بارنيت" حتى صاح مداعبا :

- طاب يومك يا سيد "بارنيت" . هل جئتنا اليوم بجديد ؟

- ارجو ذلك يا سيدي القاضي .

فهتف قاضي التحقيق :

- وانا كذلك .. وانا كذلك عندي أنباء جديدة سوف تدهشك ولكن يجب أولا أن ننتهي من هذه الآنسة الإنجليزية التي طلبت سماع اقوالها . وان ننتهي منها باسرع ما يمكن . لأن اقوالها لا يمكن أن تكون على شيء من الأهمية . إنك جعلتنا نضيع الوقت عبثا يا سيد "بارنيت" .

كانت الآنسة "إليزابيث لوفندال" متقدمة في السن . وقد وخط الشيب شعرها . وكانت ثيابها تدل على عدم عنايتها بمظهرها . وقد ظهر من أول وهلة انها تجيد اللغة الفرنسية ولكنها تلوك الألفاظ على الطريقة الإنجليزية فلا يفهمها السامع إلابصعوبة .

وقد عبرت الآنسة "لوفندال" عن شعورها نحو القتيل دون تحفظ. فهتفت قبل ان يلقى عليها أي سؤال :

– مسكين السيد "فوشيريل" . من المؤلم ان يقتل هذا الرجل المسن الطيب العجيب .

ثم نظرت إلى قاضي التحقيق واستطردت :

– لعلك تريد ان تعلم يا سيدي هل كانت لي بالقتيل معرفة أو صلة . وجوابي انني كنت اعرفه معرفة يسيرة إنني زرته في منزله مرة واحدة من أجل عمل . ذلك انني أردت أن أبتاع شيئا . ولكننا لم نصل إلى اتفاق بشان الثمن . فقررت ان اتصل بإخوتي واعرف آراءهم قبل ان اقول لمسيو "فوشيريل" كلمتي الأخيرة .

إن إخوتي معروفون جيدا في لندن . لأنهم من أعظم تجار (البقالة) في العاصمة البريطانية .

* * *

وقد كان مسيو "فورمري" يجد صعوبة عظيمة في فهم كلامها . سألها :

– وأي شيء أردت ان تبتاعيه يا آنسة ؟

فاجابت :

– اردت أن أبتاع قصاصة ورق . قصاصة ورق تافهة .

– وهل لهذه القصاصة قيمة ؟

– إن قيمتها عندي عظيمة جدا . وقد اخطأت إذ قلت لـ"فوشيريل" ذلك في صراحة .

نعم . إنني قلت له الحقيقة ..

وهي أن جدتي "دوروثيا" الحسناء كانت من أجمل النبيلات الإنجليزيات . وكان الملك "جورج" الرابع نفسه من الطامعين في يدها . وقد بعث إليها بعشرين رسالة غرام . واحتفظت بها في كتاب (ريشاردسن) الذي يتكون من عشرين جزءا .. فوضعت في داخل غلاف كل جزء إحدى رسائل الملك إليها :

ولكن حدث بعد وفاتها . أن وجدت أسرتي جميع أجزاء الكتاب عدا الجزء الرابع عشر فإنه اختفى ..

واختفت معه الرسالة الرابعة عشرة . وهي تثبت أن "دوروثيا" الحسناء خانت زوجها قبل تسعة أشهر من ولادة ابنها البكر ..

وهذا يفسر لك يا سيدي القاضي سبب اهتمامنا العظيم بهذه الرسالة بصفة خاصة . ولماذا يسرنا جدا أن نعثر على الرسالة ونحرص عليها . لأنها تثبت أن آل "لوفندال" من سلالة الملك "جورج" الرابع . وأنهم أبناء عم الملك الحالي .

نعم . إن مجرد حصولنا على هذه الرسالة يضمن لنا المجد وألقاب النبل .

وقد بحثنا عن الجزء الرابع عشر من كتاب "ريتشاردسن" بكل الوسائل الممكنة . واستغرق البحث مائة سنة متوالية . وأخيرا لجأنا إلى طريقة الإعلان في أهم صحف العالم . وكانت النتيجة أننا علمنا أن نسخة من الجزء الرابع عشر من كتاب "ريشاردسن" مجلدة كالأجزاء الباقية عندنا قد بيعت بالمزاد العلني في "باريس" و أن الذي ابتاعها هو تاجر كتب بشارع "فولتير" بباريس .

فذهبت إليه في الحال ولكنه أنبأني أنه باع النسخة المطلوبة إلى رجل من هواة الكتب يدعى "فوشيريل" ..

وذكر لي تاجر الكتب عنوانه ، فجئت إلى هنا وقابلت مسيو "فوشيريل" وسردت عليه القصة كما سردتها الآن .

وأوضحت له غرضي .فقال لي في صراحة إن الجزء المطلوب عنده . ونهض إلى أحد الدواليب . وجاء بالنسخة التي قضينا مائة سنة في

البحث عنها . فقلت له إن الرسالة الرابعة عشرة يجب أن تكون مخبأة داخل غلاف الكتاب الحالي .

وهنا صمتت "إليزابيث لوفندال" لحظة ثم عادت فاستطردت : ففحص غلاف الكتاب . ثم امتقع وجهه واجاب :

– نعم . إنها موجودة . فكم تدفعين ثمنا لها !

وهنا فقط تبينت خطئي . لانني لو لم اتحدث إليه بامر الرسالة لاستطعت الحصول على المجلد المفقود لقاء خمسين فرنكا على الاكثر . اما وقد عرف الحقيقة فإنني لم يسعني أن اعرض عليه اقل من الف فرنك . عندئذ رايت الرجل يرتجف من الانفعال او من فرط السرور ..

طلب مني عشرة آلاف فرنك .. فقبلت ولكني لم اكد افتح حقيبتي لانقده المبلغ . حتى كان الرجل قد فقد رشده تحت تاثير الجشع ظنا منه انه يستطيع الحصول على الثمن الذي يريده . فطلب عشرين الف فرنك . .. فقبلت و أزداد الرجل جشعا . وازددت رغبة في الحصول على الجزء المفقود من الكتاب مهما كلفني الأمر . وكانت النتيجة ان نشات حالة كحالات المزاد العلني فارتفع ثمن الكتاب بسرعة مدهشة . عشرين الفا ، ثلاثين الفا و أربعين الفا :

واخيرا صاح مسيو "فوشيريل" . وفي عينيه نظرة جنونية :

– ادفعي خمسين الف فرنك . لا اقل .. فبهذا المبلغ أستطيع أن ابتاع كل ما أريد من الكتب الثمينة النادرة ٥٠ الف فرنك لا اقل وقد طلب ان أعطيه في الحال تحويلا ماليا بالمبلغ الذي ذكره.

فوعدته أن أعود إليه ومعي هذا المبلغ . وعندئذ القى الكتاب في درج هذا المكتب . واغلق الدرج بالمفتاح ..

وختمت الآنسة "لوفندال" قصتها بعد ذلك بتفصيلات مسهبة لا شان لنا بها . ولا تهم أحدا . فانصرف قاضي التحقيق عن الإصغاء . إلى التفكير في أمر آخر قدر "بارنيت" و "بيشو" اهميته حين لاحظا تقلص وجهه وانقلاب سحنته .

وفجاة ، اعتدل مسيو "فورمري" في مقعده . وقال موجها كلامه إلى

الآنسة "لوفندال" ، لانه يتضمن الرسالة المطلوبة :

صفوة القول إنك تطلبين المجلد المفقود يا آنسة ..

- نعم يا سيدي ..

فاخرج مسيو "فورمري" المجلد الصغير من جيبه بحركة تمثيلية. وقال :

- ها هو ذا المجلد الذي تطلبينه .

فصاحت الإنجليزية بحماسة عظيمة :

- هل هذا صحيح ؟ هل هذا ممكن ؟

فقال قاضي التحقيق:

- نعم هذا هو المجلد المطلوب . ولكن الرسالة الغرامية التي بعث بها الملك "جورج" إلى جدتك لا أثر لها داخل غلاف المجلد . ولكني واثق بانني ساعثر عليها كما عثرت على المجلد الذي تبحثون عنه منذ مائة سنة . ومن المؤكد أن الذي سرق المجلد سرق الرسالة كذلك .

ثم راح يسير في الغرفة جيئة وذهابا و يداه معقودتان وراء ظهره وهو مرح طروب تبدو على وجهه مظاهر النصر والفوز .

واخيرا وقف امام المكتب .وقال وهو يدق على المكتب باصابعه :

- واخيرا قد عرفنا كذلك الغرض من ارتكاب جريمة القتل .

لقد سمع احد الناس الحديث الذي دار بين "فوشيريل" والآنسة "لوفندال" وراى المكان الذي وضع فيه "فوشيريل" الكتاب .

وبعد بضعة ايام .. انقض هذا الشخص الذي راى وسمع كل شيء على "فوشيريل" المسكين . وقتله لكي يسرق الرسالة رقم ١٤ ثم لكي يبيعها فيما بعد .

ولكن من كان ذلك الشخص ؟

احد الإخوة "جودو" ؟

لقد كنت ارتاب في هؤلاء الإخوة منذ البداية . وأمس خطر لي أن افتش منزلهم للمرة الثانية . ففعلت . ولاحظت في اثناء التفتيش بروزا غير عادي بين بعض أحجار الجدار بجانب الموقد فلما رفعت

الأحجار البارزة ..عثرت على هذا الكتاب . وتوقعت في الحال انه قد أخذ من بين كتب "فوشيريل" .

وقد حدثتنا الآن "لوفندال" بما عندها من معلومات مهمة طريفة فجاء كلامها مصداقا لاستنتاجاتي .

ساصدر الآن الامر بالقبض على الإخوة "جودو" . اولئك الاشقياء الثلاثة .. بتهمة قتل "فوشيريل" وتلفيق تهمة كاذبة ضد السيد "ليبوك"..

قال ذلك ثم مد يده إلى مسيو "ليبوك" . وصافحه بحرارة . كانما أراد أن يعبر له عن ثقته به وتقديره له .

ثم سار مع الآنسة "إليزابيث لوفندال" . حتى الباب الخارجي وانتظر حتى ركبت سيارتها . ثم عاد إلى حيث كان الآخرون في انتظاره . فقال وهو يفرك يديه بارتياح شديد .

– اظن أن هذا الحادث ستكون له ضجة عظيمة .

* * *

ثم قصد بعد ذلك إلى بيت الإخوة "جودو" بعد أن أصدر أمرا بإلقاء القبض عليهم .

وكان الجو صحوا . فسار السيد "فورمري" يحيط به مسيو "ليبوك" و"بيشو" و"بارنيت" . فالتفت في اثناء الطريق إلى "بارنيت" وقال له بلهجة الكبرياء والصلف :

– ما قولك الآن يا عزيزي "بارنيت" ؟ لقد جاءت النتيجة عكس ما كنت تتوقع تماما . لانك كنت منذ البداية ضد السيد "ليبوك" اليس كذلك ؟

فاعترف "بارنيت" قائلا :

– هذه هي الحقيقة يا سيدي القاضي فقد أضلتني تلك البطاقة المثقوبة اللعينة التي وجدناها في محفظته .

والواقع . أنك لوكنت مكاني . لارتبت في سلوكه مثلي فقد حدث في اثناء التحقيق في بيت "فوشيريل" .. أن كانت البطاقة ملقاة على

الأرض في مكتب "فوشيريل" . فاقترب مسيو "ليبوك" بخفة ولباقة ووضع قدمه عليها .. فعلقت بكعب حذائه . ولما خرجنا من المنزل . انتهز إحدى الفرص . والتقط البطاقة من كعب حذائه . ووضعها في محفظته ..

وقد لاحظت في اثناء سيره أن كعب حذائه الأيمن . يترك في الأرض اربعة ثقوب .. فاستنتجت من ذلك أن مسيو "ليبوك" تذكر انه نسي البطاقة على الأرض ولم يكن يريد أن يعرف أحد اسم الآنسة "إليزابيث لوفندال" وعنوانها فاحتال على التقاط البطاقة دون أن يفطن إليه أحد . وانفذ خطته بوضع مسامير في كعب حذائه بطريقة خاصة .

على أن ما حدث لا يمنع من القول بأن الفضل كل الفضل لبطاقة الآنسة "لوفندال" في كشف ..

فقاطعه السيد "فورمري" بان انفجر ضاحكا وقال :

- هذه خيالات واوهام صبيانية يا عزيزي "بارنيت" ..

وكيف يمكن لبوليس سري ان يضل في فهم الحقيقة بهذه الطريقة؟!.

إن من مبادئي يا عزيزي "بارنيت" . توخي السهولة وعدم التعقيد ما استطعت إلى ذلك سبيلا .. وعدم الخروج عن نطاق الحقائق الموجودة أمامي . أو بمعنى آخر ..

عدم خلق حقائق تتفق مع ريبي وشكوكي ..

وهنا مر الجميع امام منزل السيد "ليبوك" في طريقهم إلى بيت الإخوة "جودو" فتابط "فورمري" ساعد "بارنيت" واستمر يلقي عليه دروسه البوليسية قال :

- إن اكبر غلطة وقعت فيها يا عزيزي "بارنيت" انك اهملت حقيقة من أيسر واهم الحقائق . وهي أن الإنسان لا يمكن ان يكون موجودا في مكانين في وقت واحد .

فقد كان من المستحيل ان يكون السيد "ليبوك" يدخن ويقرأ بجوار نافذة غرفته .. وأن يرى في الوقت نفسه في بيت "فوشيريل"..

انظر . ها هو ذا السيد "ليبوك" يسير وراءنا . فهل من الممكن أن يكون معنا وأن يرى في ذات الوقت جالسا بجانب نافذة غرفته؟!

وأشار بيده وهو يتكلم نحو نافذة "ليبوك" . ونظر في ذات الوقت إلى النافذة .

وفي الحال بدرت من فمه آهه دهشة وعجب . ووقف في مكانه . كأنما سمرت قدماه في الأرض .

وكان "بيشو" يصغي باهتمام إلى ما يدور من الحديث بين "بارنيت" و"فورمري" خوفا من أن تفلت من الأول كلمة ساخرة تخدش شعور قاضي التحقيق .. فهتف عندما رأى القاضي يقف فجأة :

– ماذا حدث ؟

فأشار القاضي نحو السيد "ليبوك" مرة أخرى وصاح :

– انظروا . انظروا ..

فنظروا جميعاً نحو النافذة من خلال سور حديقة المنزل .. ورأوا السيد "ليبوك" الذي كان واقفا معهم ..

رأوه جالسا في نافذته . يدخن غليونه ويقرأ كتابه ..

استولت عليهم جميعا دهشة عقدت ألسنتهم .

ترى من كان ذلك الجالس في النافذة يدخن ويقرأ ؟!!

نسخة أخرى من السيد "ليبوك" . أو شخص آخر يشبهه تمام الشبه أو خيال شيطاني . يمثل السيد "ليبوك" ..

دفع "بيشو" باب سور الحديقة بيده دفعة شديدة فتحته ووثب نحو النافذة . حيث كان السيد "ليبوك" لا يزال يدخن .

ولم يستطع السيد "فورمري" ضبط نفسه فاندفع بدوره في أثر "بيشو" .. وتبعهم الآخرون عن كثب ..

واقتربوا جميعا من النافذة . وأدهشهم أن "ليبوك" الجالس في النافذة لم يحرك ساكنا . ولم يكف لحظة واحدة عن التدخين والقراءة وكانوا كلما اقتربوا .. ازدادت دهشتهم لصمت "ليبوك" وسكوته .. وإصراره على تجاهلهم وهم يقتربون منه بسرعة . فلم يأت بأية حركة

تدل على الانزعاج أو الدهشة .

ولكن كيف كان يمكن أن ياتي بحركة وهو ما تبين للقوم عندما أصبحوا من النافذة قيد خطوات قلائل - لم يكن في الواقع سوى صورة متقنة بالحجم الطبيعي والألوان الطبيعية تمثل السيد "ليبوك" جالسا كعادته أمام النافذة يقرأ ويدخن . وتدل طريقة صنعها على أنها رسمت بيد ذات الفنان الذي صنع صورة "فوشيريل" الموجودة في مكتبه .

نظر السيد "فورمري" حوله . ورأى السيد "ليبوك" الذي كان قد تبع الجميع بحكم الاندفاع العام نحو النافذة .

لم يستطع "ليبوك" الضاحك السن . الهادئ الرزين الواثق بقوة مركزه . لم يستطع احتمال هذه الصدمة المفاجئة واللحظة التي كان يعتقد فيها تمام الاعتقاد انه اصبح ابعد ما يكون من المظنة والريبة . فتخاذل . واضطرب وخانه جلده . وفقد سلطانه على نفسه . فبكى كالأطفال . واعترف في الحال بقوله :

- إنني فقدت رشدي . فطعنت صديقي "فوشيريل" دون أن اقصد إلى قتله . أردت أن أشاطره الغنيمة .و إن أقاسمه أرباحه في تلك الرسالة الثمينة . ولكنه رفض رفضا باتا . ففقدت رشدي وطعنته دون أن اقصد إلى قتله ..

وصمت ..

وهنا تكلم "بارنيت" فقال بصوت امتزج فيه التهكم بالخشونة .

- ما قولك الآن يا سيدي القاضي ؟ ما قولك في محسوبك "ليبوك" وما قولك في براعته العظيمة في تدبير خطته ؟

لقد كان من الطبيعي وهذه الصورة العجيبة في النافذة أن يعتقد جميع المارة انهم يرون "ليبوك" في مكانه الذي اعتادوا ان يروه فيه بعد ظهر كل يوم .

أما أنا فقد أدركت ساعة رأيت صورة "فوشيريل" الطبيعية في مكتبه أن صاحبك "ليبوك" قد لجأ إلى هذه الحيلة تماما لتضليل المحقق .

وإيجاد شهود يقررون وهم صادقون أنهم رأوه في نافذة غرفته في الوقت الذي ارتكبت فيه الجريمة ..

قلت لنفسي يومئذ :

- الا يبعد أن الفنان الذي صنع تلك الصورة الطبيعية البديعة التي تمثل "فوشيريل" وهو يطالع كتابا .. قد صنع لصديقه "ليبوك" صورة مشابهة تمثله وهو يقرأ ويدخن ؟!!

وقررت أن أبحث .. وأنقب ..

ولاشك أن "ليبوك" كان شديد الإيمان بجهلنا وقصر نظرنا فلم يقم بأية محاولة حقيقية لإخفاء الصورة . والواقع أنني عثرت بهذه الصورة دون كبير عناء في حظيرة خلف منزله بين الأدوات المهملة. وكل ما فعلته بعد أن عثرت عليها أنني ثبتها هنا في نافذته بعد أن غادر بيته صباح اليوم لحضور التحقيق في بيت "فوشيريل" وسماع شهادة الآنسة "إليزابيث لوفندال" .

وهذا يفسر لك يا سيدي القاضي كيف يمكن أن يكون الإنسان في مكانين في وقت واحد . وكيف يستطيع ارتكاب جريمة قتل في بيت "فوشيريل" . بينما هو جالس يقرأ ويدخن في نافذة غرفته .

* * *

وكان "بارنيت" في هذا الموقف حاد الألفاظ . عنيفا في هجمته فانكمش "فورمري" التعس ولم يجد كلمة مناسبة تبرر موقفه .

استطرد "بارنيت" قائلا :

- هل كان من دلائل الشرف والاستقامة يا سيدي القاضي أن يلجأ السيد "ليبوك" إلى تلك الطريقة العجيبة للاستيلاء على بطاقة الآنسة "لوفندال"؟

وهل كان من الشرف والاستقامة أن يخرج من منزله منذ ثلاثة أيام .

وأن يتسلل كاللص داخل بيت الإخوة "جودو" ليخبئ الكتاب بإحدى غرف البيت ليكون دليلا على جرمهم وبراءته ؟!!

إنني وضعته تحت مراقبتي الدقيقة منذ رايته لأول مرة ، واستطعت بذلك أن أسجل عليه الحركات والسكنات ..

فاكبر الظن انه بعد ان اخفى الكتاب في بيت الإخوة "جودو" بعث برسالة بلا توقيع .. يرشدك فيها إلى مكان الكتاب ....

على اعتبار انه من كتب "فوشيريل" ويعتبر دليلا على السرقة وبالتالي القتل . رسالته إليك ولولاها ما عثرت قط على الكتاب في بيت الإخوة "جودو" .

هذا هو السيد "ليبوك" الشريف الأمين الذي هو في نظر حضرة قاضي التحقيق فوق كل شبهة . وكل ريبة ..

وهنا اطرق السيد "فورمري" براسه إلى الارض في خجل ومذلة. ثم نظر إلى "ليبوك" شزرا وغمغم :

– نعم . كان يجب أن أرى ما في حركاته ونظراته من تصنع وخداع ونفاق . فقبحا لك إيهااللص السفاك ..

نعم . أنت لص . وقاتل . وساقودك إلى المشنقة من أقرب طريق. اين خبات الرسالة الثمينة . اعني الرسالة الرابعة عشرة ؟

واستولى عليه الغضب فجاة فصاح :

– اين الرسالة ؟

فلم يستطع "ليبوك" المقاومة او الإنكار . واجاب على الفور :

– إن الرسالة في علبة صغيرة من الخشب . بالموقد غير المستعمل بالغرفة المجاورة لهذه الغرفة .

فانتقل الجميع إلى الغرفة التي ذكرها "ليبوك" . وفتش "بيشو" الموقد وعثر على العلبة الصغيرة . وفتحها . ولكنه لم يجد بها الرسالة الثمينة .. مما ضاعف غضب قاضي التحقيق و اوقع "ليبوك" في حيرة

شديدة . غير ان السيد "فورمري" لم يصدق علامات الدهشة والحيرة التي ارتسمت على وجه "ليبوك" . فصاح في غضب :

- أيها الكاذب المنافق.. اين الرسالة ؟ كن على يقين من انني سارغمك على الكلام . ولابد أن تقول أين خبات الرسالة ..

وهنا التقت عينا "بيشو" بعيني "بارنيت" . فابتسم هذا الأخير . وضم "بارنيت" اصابعه بقوة .

فهم ان لمكتب "بارنيت" وشركاه طريقة خاصة في العمل تجعله يؤدي جميع الخدمات مجانا . وادرك كيف يستطيع "بارنيت" أن يقسم على أنه لا يطالب عملاءه بفرنك واحد اجرا عن جهوده . وهو في الوقت نفسه يعيش عيشة ترف كبوليس سري خاص ..

اقترب منه وهمس في اذنه قائلا :

- إنك على جانب عظيم من سعة الحيلة والذكاء ..

وبراعتك تذكرني ببراعة "ارسين لوبين" ..

فتظاهر "بارنيت" بعدم الفهم وسأل :

- عن اية براعة تتكلم !

- البراعة التي اختفت بها الرسالة الثمينة :

فابتسم "بارنيت" وقال :

- وهل انا غبي ؟!

- هل فهمت أين ذهبت ..

- الواقع . انني من هواة جمع إمضاءات ملوك إنجلترا

وبعد ثلاثة أشهر تقريبا . زار الآنسة "إليزابيث لوفندال" في منزلها بلندن شاب رشيق وسيم الطلعة . فقدم إليها الرسالة الغرامية الرابعة عشرة . التي بعث بها الملك "جورج الرابع" إلى جدتها "دوروثيا" الحسناء . وطلب منها ثمنا لهذه الرسالة . مائة الف فرنك ..

وقد كانت المفاوضات في هذه الصفقة طويلة وشاقة ..

فتشاورت الآنسة "لوفندال" في الامر مع إخوتها . وهم اصحاب اكبر متجر للبقالة في لندن .. فرفضوا اولا . ثم قبلوا اخيرا .

وهكذا قبض الشاب الرشيق الوسيم الطلعة مبلغ مائة الف فرنك واستطاع فوق ذلك وبطريقة غامضة. ان يستولي على محتويات مركبة سكة حديد كانت مشحونة بافخر انواع (البقالة) . ومرسلة إلي إخوة الآنسة "لوفندال" .. ولا يعلم احد على وجه التحقيق ماذا آلت إليه محتويات المركبة .

- ٣ -

غرام "بارنيت"

وثب "بيشو" من سيارته .. واندفع إلى مكتب "بارنيت" كالعاصفة.. فوقف "بارنيت" لاستقباله وهو يقول :

- جميل منك أن تتكرم بزيارتي يا عزيزي "بيشو" . كنت اخشى أن تكون ناقما علي لسبب ما . فهل انت في حاجة إلي ؟

- نعم يا "بارنيت" . إنني في اشد الحاجة إليك .. فرك "بارنيت" كفيه بارتياح و قال :

- هذا حسن . ما الخدمة التي أستطيع ان أؤديها لك . ولكن ماذا دهاك أراك شديد احمرار الوجه فهل انت مصاب بالحصبة ؟

فاجاب "بيشو" بلهجة جدية :

- ليس الموقف موقف دعابة وتهكم يا "بارنيت" ..

المسالة التي جئت من اجلها دقيقة وعلى جانب كبير من التعقيد. واريد أن اخرج منها مرفوع الرأس ..

- ما هذه المسألة ؟

- المسألة خاصة بزوجتي .

- زوجتك ! انت متزوج إذن ؟

- بل كنت متزوجا . وانفصلت عن زوجتي بالطلاق منذ ستة اشهر .

- بسبب عدم توافق الامزجة بالتاكيد ؟!

- بل بسبب اندفاعها وراء ميولها ..

- وهل كانت تميل إلى تركك ؟.

- بل كانت تميل إلى الاشتغال بالتمثيل . تصور هذا..؟ زوجة مفتش بوليس تظهر على المسرح !

- هل هي روسية ؟

- نعم وهي تشتغل الآن بالغناء ..

- على مسرح الأوبرا ؟!
- لا بل على مسرح "برجير" .
- واسمها ؟!
- اسمها "أولجا فوبان" .
- تشتغل بالغناء والتمثيل ؟
وهنا شد "بارنيت" على يد "بيشو" بحماسة وقال :
- إذن دعني اهنئك من كل قلبي ايها العزيز .. إن "اولجا فوبان" فنانة مدهشة .. وأغانيها المبتكرة قد احدثت ضجة في الدوائر المسرحية . لأنها تدل على فن صحيح ..ومواهب تستحق التقدير .
فقال "بيشو" :
- أشكرك كثيرا .. خذ واقرا .. هذه برقية جاءتني منها صباح اليوم.
وقدم إلى "بارنيت" برقية قرا فيها ما يلي :
"سرق مخدعي .. وكادت تقتل امي"

"اولجا"

فقال "بارنيت" :
- "كادت تقتل" تعبير ظريف .
- قال "بيشو" :
- وعندما تسلمت هذه البرقية . اتصلت في الحال بإدراة الشرطة . وعلمت ان الحادث ابلغ إليها . وانها كلفت بعض زملائي بتحقيقه . فاستاذنت في أن اضم جهودي إلى جهودهم فاذنوا لي..
فسال "بارنيت" :
- وماذا يمنعك من الذهاب إلى مكان الحادث يا "بيشو" ؟
هل هناك ما يخيفك ؟
فاجاب "يشو" بلهجة تدعو إلى الإشفاق :
- يشق علي أن أراها مرة اخرى .
- هل لا تزال تحبها ؟
- كلما أراها .. يغزو الحب قلبي من جديد .. ويستولي علي

اضطراب شديد .. فكيف أستطيع القيام بتحقيق الحادث وانا في مثل هذه الحالة ؟

من المؤكد انني لن أصل إلى نتيجة . وفي استطاعتك أن تتصور موقفي إذا لم اوفق .

فقال "بارنيت" :

– هذا صحيح .. إن من المهم جدا بالنسبة إلى مركزك حيالها أن توفق . وأن يتكلل عملك بالنجاح .

– نعم ..

– وانت بالاختصار تريد أن تعتمد علي في هذا الموقف !

– نعم يا "بارنيت" ..

فاطرق "بارنيت" براسه لحظة ثم سأل :

– ماذا تعرف عن سلوك زوجتك ؟

فعض "بيشو" شفته . ولكنه اجاب على الفور :

– سلوكها لا غبار عليه . ولولا شغفها الشديد بالغناء والتمثيل .. ولولا ان انوار المسرح بهرتها . إذن لما كانت هناك زوجة افضل منها .. ولظلت حتى الآن تدعى مدام "بيشو" ..

فقال "بارنيت" بلهجة جدية وهو يتناول قبعته :

– لو انها ظلت حتى الآن تدعى مدام "بيشو" ..

لكان ذلك خسارة كبرى على الفن .

وانصرف الاثنان معا من مكتب "بارنيت" وشركاه ، وبعد بضع دقائق كانا يجتازان شارعا من أهدأ الشوارع القريبة من حدائق "لوكسمبورج" واقلها ازدحاما بالمارة .

وقد كانت "أولجا فوبان" تقطن الطابق الثالث من منزل في هذا الشارع وكان أول مالفت نظر "بارنيت" في هذا الطابق ارتفاع نوافذه .. ووجود قضبان حديدية بهذه النوافذ تحول دون الوثوب منها إلى الداخل ..

ولما وصل الاثنان إلى الباب .. التفت "بيشو" إلى "بارنيت" وقال له

بصوت خافت .

- لي كلمة أخيرة أريد أن أقولها لك يا "بارنيت" . وهي أن تترك في هذا الحادث بصفة خاصة كل عمل من شأنه أن يشوه نتائج جهودك الشريفة .

فقاطعه "بارنيت" محتجا :

- إن . ضميري ..

- اترك ضميرك مستريحا . وفكر في موقفي أنا حيالها إذا هي وجهت إلي لوما أو تعنيفا بسبب سلوكك وتصرفاتك .

فصاح "بارنيت" بلهجة الاحتجاج كذلك :

- هل تتصور أنني أسرق "أولجا فوبان" ؟

- إنني لا أطلب إليك أن تسرق أحدا ..

فقال "بارنيت" ضاحكا :

- حتى ولا أولئك الذين يستحقون السرقة ؟

- اترك للعدالة أن تضطلع بإنزال العقاب بمن يستحقه .

فتنهد "بارنيت" وقال :

- هذه نظرية تحتاج إلى بحث وتفكير .. ولكن ما دمت تريد مني ذلك فسأنزل على إرادتك .

* * *

كان أحد رجال الشرطة يحرس باب المنزل الذي وقع فيه الحادث .. بينما كان شرطي آخر يقيم مع البواب وزوجته في غرفتهما . لمنع اتصالهما بأحد من الخارج .

وقد علم "بيشو" من الشرطي المكلف بحراسة الباب أن أحد مفتشي البوليس واثنين من رجال الأمن العام وقاضي التحقيق حضروا في الصباح الباكر و أجروا تحقيقا سريعا ..

وقرروا استئناف التحقيق فيما بعد ..

فالتفت "بيشو" إلي "بارنيت" وقال له :

- لننتهز إذن هذه الفرصة حيث لا يوجد أحد فنقوم بإجراء التحقيق في جو هادئ .

ثم استطرد وهو يرقى السلم مع "بارنيت" :

- هذا بيت عتيق لا تزال تسود فيه العادات والتقاليد القديمة . فالبواب مثلا .. وهو شيخ متقدم في السن عتيق كهذا البنيان لا يترك الباب قط مفتوحا . بل يغلقه دائما من الداخل .فلايستطيع أحد الدخول ما لم يقرع الباب .

ويقيم في الطابق الأول من هذا المنزل أحد رجال الدين وبالطابق الثاني أحد رجال القانون . وتقوم زوجة البواب بخدمة هذين الاثنين ..

اما "اولجا" . فإنها تعيش في الطابق الثالث عيشة محترمة بين والدتها وخادمتيها المتقدمتين في السن .. اللتين ربيانها وعنيتا بامرها منذ الصغر .

* * *

دق "بيشو" جرس الطابق الثالث . ففتح الباب . ودخل الاثنان واستمر "بيشو" يوضح مواضع الغرف في الطابق .

فقال إن الرواق يؤدي من الناحية اليمنى إلى غرفة الاستقبال ومخدع "اولجا" ويؤدى من الناحية اليسرى إلى غرفة والدتها وخادمتيها وإن في مواجهة الداخل غرفة واسعة نظمت لتكون مصنعا لأحد الفنانين . ولكن "أولجا" أحالت هذه الغرفة إلى قاعة للرياضة . فوضعت فيها جميع الأدوات الرياضيةالتي لابد منها للرياضة البدنية لأن "اولجا" كانت دائما شديدة الحرص على رشاقة جسمها واعتدال قوامها .

ادخلتهما الخادمة التي استقبلتهما إلى غرفة الرياضة .

فما كادا يدخلانها حتى هبط أمامهما شيء سقط من السقف الزجاجي . فتراجع الرجلان قليلا في شيء من الدهشة والجزع ولكنهما ابتسما في الحال عندما وجدا أن هذا الشيء فاجاهما

بهبوطه امامهما كان شابا جميل الطلعة ، ساحر العينين ، جميل القد في بيجامته الحريرية الملتصقة تماما باعضائه .

وكانت نظرة واحدة من "بارنيت" كافية لان تدله على ان هذا الشاب الرشيق . ليس في الواقع إلا المغنية المحبوبة "اولجا فوبان" ذات الشهرة الواسعة في الدوائر المسرحية .

صاحت في الحال بلهجة ساحرة :

– هل تعلم يا "بيشو" ان والدتي في حالة حسنة ؟ إنها نائمة الآن ملء جفنيها . مسكينة امي . لقد نجت باعجوبة .

ثم تناولت وسادة من فوق احد المقاعد . وضمتها إلى صدرها بحركة مسرحية كما تضم مخلوقا عزيزا . وراحت تغني بصوتها العذب الساحر الغنوة التي اشتهرت به ومطلعها "إيزيدور" يحبني. ولكني احب "ريمون" " .

ثم القت الوسادة بخفة . وقالت :

– واحبك انت ايضا أيها العزيز "بيشو" .

لقد كان كرما منك ان تخف لنجدتي بهذه السرعة .

فقدم إليها "بيشو" صاحبه بقوله .

– اقدم إليك زميلي "بارنيت" ..

وقد حاول "بيشو" ان يتماسك وان يصم اذنيه عن سماع خفقات قلبه. ولكن تاثره كان واضحا جليا في نبرات صوته المضطرب . وفي حركاته العصبية ..

قالت "اولجا" :

– هذا حسن . يجب الآن ان تتعاونا على حل هذا اللغز . وان تردا إلي غرفة نومي التي سرقها اللصوص .. آه . يجب أن اقدم إليكما بدوري الأستاذ "ديلبريجو" وهو أستاذي في الرياضة البدنية ومدلك . وتاجر مستحضرات التجميل التي تقبل عليها نساء المسارح إقبالا عظيما . وهي مستحضرات تعيد الشباب إلى ابنة الستين .

فاحنى الأستاذ "ديلبريجو" راسه باحترام .

كان رجلا عريض الكتفين . يخيل للناظر إلى تقاطيع وجهه انه مهرج قديم أحيل إلى التقاعد .

وكان يلبس في يديه قفازا أبيض . ويمسك بين أصابعه قبعة من القش .

وقد راح هذا الأستاذ يتكلم بمزيج من اللغات الفرنسية والروسية والإنجليزية والإسبانية . موضحا برنامجه الرياضي لتجميل القوام ولكن "أولجا" قاطعته بقولها :

– إن الوقت ضيق لا يسمح بحل الألغاز اللغوية ..

وبحسبنا لغز سرقة غرفة نومي ..

والآن . ماذا تريد من المعلومات يا عزيزي "بيشو" ؟

فقال "بيشو" :

– قبل كل شيء دعينا نر غرفة نومك .

– لنذهب إليها ..

ووثبت إلى إحدى الطاولات . ومنها إلى حلقة للألعاب الرياضية مدلاة من السقف . وتارجحت من هذه الحلقة قليلا . ثم قذفت بنفسها من خلال الباب إلى الدهليز وهي تقول :

– ها هي ذي غرفتي ..

دخلت الغرفة وتبعاها . وأدهشهما أن يجدا الغرفة عارية خالية تماما من كل اثاث . فلا أثر للفراش . ولا للأثاث والمقاعد . والستائر والمرايا والأبسطة . لا شيء على الإطلاق ..

رات "أولجا" علامات الدهشة المرتسمة على وجه "بيشو" و"بارنيت" وانفجرت ضاحكة .

قالت :

– إنهم جردوا الغرفة تماما . حتى المشط الذي أصفف به شعري أخذوه . ولكني أريد غرفتي . أريد اثاث مخدعي . وهو اثاث تاريخي ثمين من عهد "لويس الخامس عشر" . اشتريته قطعة قطعة . حتى تكونت لدي غرفة نادرة ..

والفراش الذي كنت أرقد عليه وسرق هو فراش المركيزة "بومبادور" نفسها .

وقد سرقت كذلك أربع لوحات فنية رائعة ثمينة من صنع "بوشيه"..

ذلك كله ... عدا التحف الفنية النادرة ... التي ابتعتها بجميع أرباحي من الرحلة التمثلية التي قمت بها في أمريكا .

ثم وقفت على يديها بسرعة بحركة بهلوانية كما يفعل الغلمان . وقالت بعد أن اعتدلت :

- ولكن لا بأس . أستطيع أن أدفع ثمن غرفة أخرى .

لايجب أن أحزن مادامت لي هذه العضلات التي تشبه المطاط . وهذا الصوت الذي يحاكي أصوات البلابل ..

ولكن ما بالك يا "بيشو" حتى كأنك توشك أن تسقط تحت قدمي في حالة إغماء . تعال ودعني اقبلك ، وألق علي ما شئت من الأسئلة . ولنفرغ قبل قدوم رجال النيابة ..

فقال لها "بيشو" :

- اسردي علينا ما حدث تماما ..

فاجابت :

- الأمر هين يمكن تلخيصه في بضع كلمات ..

حدث في منتصف الساعة التاسعة مساء - ويجب أن اقول لك أولا إنني كنت قد انصرفت في الساعة الثامنة مع "بيلبريجو" .. الذي يرافقني إلى المسرح في بعض الأحيان بدلا من والدتي .

حدث إذن أنني تركت والدتي تطرز . فسمعت حول منتصف الساعة التاسعة حركة صادرة من غرفة نومي ..

فقصدت إليها لترى ما الخبر . وهناك رأت رجلين يعملان على ضوء مصباح كهربائي صغير وأحدهما يشتغل برفع قطع الفراش أما الثاني فإنه شعر بها قبل أن تعلم ماذا كان يفعل . فانقض عليها والقى على رأسها أحد أغطية المائدة وتمكن بهذه الطريقة من خنق استغاثتها إلى أن جاء زميله وساعده على شد وثاقها وتكميمها واستمرا في

عملهما بعد ذلك . فحزما قطع الأثاث . ونقلا جميع محتويات الغرفة تحت سمع والدتي وبصرها. ولكنها كانت عاجزة عن الاستغاثة . لأنها كانت مشدودة الوثاق مكممة الفم ..

ولما فرغ الشقيان من حمل الأثاث . وسمعت والدتي من الخارج حركة السيارة التي شحن فيها الأثاث . اغمضت المسكينة عينيها. وأغمي عليها ..

– ولما عدت من مسرح "الفولي برجير" وجدت باب المنزل الخارجي مفتوحا وكذلك باب الطابق ووجدت والدتي في حالة إغماء شديد .

وتستطيع ان تقدر فزعي وذعري حين فوجئت بما رايت .

– والبواب وزوجته !؟

– انت تعرفهما حق المعرفة يا "بيشو" . فهما شيخان عجوزان . يقيمان في هذا المكان منذ ثلاثين سنة ..

ولا يوقظهما من نومهما أي زلزال . ولكنهما يستيقظان من امتع نوم فور سماع جرس الباب الخارجي لأنهما ألفا رنين الجرس .

وقد أقسما باغلظ الأيمان على أن احدا لم يقرع الجرس من الساعة العاشرة مساء – وهي الساعة التي ناما فيها – حتى الصباح .

– ومعنى ذلك انهما لم يفتحا الباب خلال هذه المدة .

– نعم .

– وباقي السكان ؟

– لقد قرروا ايضا انهم لم يسمعوا شيئا .

– والنتيجة ؟!

– اية نتيجة ؟

– أعني وما رأيك انت يا "أولجا" ؟

فاغضبها هذا السؤال وصاحت .

– ما أبدع هذا السؤال !

هل من شاني أن يكون لي رأي .

أرى أنك لست اشد ذكاء من رجال النيابة الذين سبقوك إلى هنا فقال

متعلثما:

- لا يجب . لا يجب ان يكون هذا رايك فينا . فنحن لم نبدأ تحرياتنا بعد . ولم نقف على جميع المعلومات التي نحن في حاجة إليها .

- لم تقف على جميع المعلومات ! بعد كل هذا الذي أوضحته لك! ألا تكفي كل هذه المعلومات والبيانات لإضاءة المصباح الذي ستبحث به عن السارق أو السارقين !

إذ كان المدعو "بارنيت" ذكيا مثلك فيجب أن أقول على فراش المركيزة "بومبادور" السلام .

وهنا تقدم "المدعو" "بارنيت" إلى الأمام . وسألها:

- في أي يوم تريدين فراش المركيزة "بومبادور" يا سيدتي ؟!

فنظرت إليه في دهشة - ولم تكن قد أعارته كثيرا من الاهتمام وسألته :

- ماذا تعني ؟!

فأجاب في غير كلفة :

- أريد أن أعرف اليوم والساعة اللذين تريدين فيهما استرداد فراشك وبقية أثاث غرفة نومك .

- ولكن .

- اذكري التاريخ يا سيدتي . اليوم يوم الثلاثاء . فهل تريدين أثاث غرفتك في يوم الثلاثاء المقبل ؟

فنظرت إليه نظرة دهشة يخالطها غضب .

حارت في الأمر وسألت نفسها ترى هل يجد هذا المخلوق العجيب أو يهزل ..

وفجأة . قهقهت ضاحكة وصاحت :

- هو ذا مخلوق ظريف . أين وجدت صاحبك هذا يا "بيشو" إنه خلي البال هذا المدعو "بارنيت" ..

بعد أسبوع .. سيعيد إلي أثاث غرفتي .. بعد أسبوع ..

كما لو كان هذا الأثاث في جيبه ..

وهل تعتقدان انني استطيع ان اضيع وقتي مع مخلوقين خاويين مثلكما ودفعتهما بيديها الصغيرتين نحو الدهليز وهي تصيح :

- انهبا من هنا . ولا ترياني وجهيكما بعد الآن ..

لا اريد أن يهزأ بي أحد اخرجا .

واغلقت الباب وراءهما . فاستولى على "بيشو" الحزن والياس وغمغم :

- نحن لم نقض هنا اكثر من عشر دقائق :

اما "بارنيت" . فإنه فحص الدهليز والقى بضعة اسئلة على الخادمتين المتقدمتين في السن . ثم دخل غرفة البواب الشيخ وزوجته . والقى عليهما بعض أسئلة ..

ولم يكد يخرج من باب المنزل . حتى وثب في سيارة اجرة كانت تمر بالشارع . وأمر السائق أن يذهب به إلى مكتبه بشارع "دي لابورد" وترك "بيشو" منذهولا على رصيف الشارع .

تزعزعت ثقة "بيشو" في صديقه "بارنيت" . واعتقد كما اعتقدت "أولجا" من قبل انه أراد التخلص من المأزق فقطع على نفسه ذلك العهد الفكاهي العجيب . إذ وعد بان يرد إلى "أولجا" اثاثها المسروق بعد أسبوع .

وقد تاكد "بيشو" من ذلك في اليوم التالي عندما ذهب إلى مكتب "بارنيت" وشركاه . فوجد "بارنيت" جالسا يدخن .. وقد غاص في مقعده ووضع قدميه فوق مكتبه .

قال له :

- إذا كان ذلك هو مبلغ اهتمامك بالحادث . فإن من حق "أولجا" ان تقول على أشيائها المسروقة السلام .

إن رجال النيابة لم يهتدوا إلى شيء يستحق الذكر . وأنا كذلك لم أقع على جديد . على أن هناك اتفاقا في الراي حول بعض المسائل .

فمن المسائل المسلم بها والمتفق عليها مثلا . استحالة الدخول من الباب الخارجي ولو بمفتاح مصطنع . ما لم يرفع المزلاج من الداخل .

وحيث إنه لا يوجد بالمنزل من تحوم حوله شبهة الاشتراك في السرقة ومساعدة اللصوص بفتح الباب من الداخل . فإنه يمكن استنتاج احد امرين :

أولا : أن يكون أحد اللصوص قد دخل المنزل نهارا وظل مختبئا فيه حتى هبط الظلام . ففتح الباب من الداخل لشريكه أو شركائه.

وثانيا : إن الشخص الذي دخل المنزل واختبأ به ثم فتح الباب لشركائه لا يمكن أن يكون قد تمكن من الدخول دون أن يراه البواب او زوجته . مادام الباب يظل دائما مغلقا من الداخل .

ولكن من هذا الشخص الذي تمكن من الدخول ؟

هنا العقدة . هنا اللغز . فما رأيك !

ولكن "بارنيت" ظل ملتزما الصمت . كانه غريب عن الموضوع ولا شان له فاستطرد "بيشو" :

– لقد وضع المحقق قائمة باسماء بعض الأشخاص الذين دخلوا المنزل في اليوم الذي وقعت السرقة في مسائه وقد أكد البواب وزوجته أن جميع الأشخاص الذين دخلوا المنزل خرجوا منه بالتالي . فلم يبق به ولم يكمن فيه أحد.

وهكذا . لا تزال السرقة بايسر الوسائل . وبمنتهى الجراة سراً من الأسرار ..

فما قولك يا "بارنيت" ؟

فرفع "بارنيت" راسه كمن يستيقظ من نوم ممتع . وقال :

– إنها ساحرة .

– من ؟ من .ماذا تعني بقولك إنها ساحرة ؟!

– زوجتك .

– هيه ..

– إنها فتنة في حياتها العادية . كما هي فتنة على المسرح . إنها مخلوقة تزرع الحب اينما ارادت . إنها تمثل الفتاة الباريسية الرشيقة الخفيفة الظل بكل ما في هذا الوصف من معنى . لها رشاقة ساحرة .

ولها ذوق سليم ..

إنك كفرت بنعمة الله عليك يا "بيشو" ..

فتنهد "بيشو" من قلب محزون . وغمغم قائلا :

- نعم . إنني كنت من اسعد أهل الأرض طرا ..

- وكم استمرت سعادتك ؟

- استمرت شهرا واحدا .

- وتشكو مع ذلك سوء الحظ ؟ بحسب الإنسان في الحياة أن يكون زوجا لهذه المخلوقة الفاتنة اسبوعا واحدا ..

وفي يوم السبت . عاد "بيشو" إلى مكتب "بارنيت" . فوجده كما اعتاد أن يراه في المدة الأخيرة جالسا يدخن ويفكر .

ولا يجيب على ما يلقى عليه من الأسئلة .

واخيرا اقبل يوم الاثنين . فظهرت على "بيشو" علامات القلق . واليأس . .

قال محدثا "بارنيت" :

- هذه حالة لا تدعو إلى الاغتباط . إن جميع رجال البوليس والنيابة مغفلون . إنهم لم يفعلوا شيئا منذ أسبوع . ومن يدري فربما تسرب اثاث "أولجا" الثمين إلى الخارج خلال هذه المدة . نعم . من يدري . فربما قد شحن على إحدى البواخر وارسل إلى الخارج . ليباع هناك ..

يالله . وكيف سيكون موقفي من "أولجا" ؟! سوف تصفني بالجهل والغباء وتصب علي جام غضبها ونقمتها .

قال ذلك ونظر إلى "بارنيت" بحدة .. ولكن هذا الأخير لم ينطق بكلمة واحدة .. ولم يكف عن التدخين .ومراقبة سحب الدخان وهي تتصاعد نحو سقف الغرفة في خطوط حلزونية .

فاستطرد "بيشو" ليثير حماسة صاحبه :

- لاشك أن خصومنا في هذا الحادث على جانب عظيم من القوة والمهارة .. وآية ذلك انهم يعملون بدقة عظيمة .. ويحكمون خطتهم إحكاما تاما .. ولايتركون وراءهم اي أثر يدله عليهم فكيف بالله ترى

امامك امثال هؤلاء الخصوم ولاتحرك ساكنا لمقاومتهم .

لاشك أن لهم بمنزل "أولجا" شريكا أو شركاء .. فكيف لم تهتد حتى الآن إليهم ؟

فقال "بارنيت" :

- إن فيها صفة هي من ابرز وأحلى صفاتها .

- ماذا ؟

- رقتها الطبيعية . ونفورها من التصنع ..

نعم إن "أولجا" تسرح بخواطرها . وتعبر عن شعورها في غير نفاق أو رياء . وتعمل بدافع من غريزتها ..

وتعيش بشعورها .

نعم . إنني أكرر لك القول يا "بيشو" إنها مخلوقة فاتنة ساحرة..

فضرب "بيشو" المكتب بقبضته القوية . وصاح :

- هل تعرف رأيها فيك يا "بارنيت" ؟ هل تعرف بماذا تصفك ؟ إنك في نظرها مغفل من أكبر المغفلين . وهي تذكرك في حديثها مع "ديلبريجو" بقولها (بارنيت المغفل) ..

فتنهد "بارنيت" وقال :

- يا لها من صفة مؤلمة !! ولكن ماذا يجب أن أفعل لكي ادفع عن نفسي صفة التغفيل ؟؟

- إن يوم غد هو يوم الثلاثاء . فيجب أن ترد إليها فراشها وأثاثها غدا كما وعدت .

- الواقع . انني لا اعلم لسوء الحظ أين يوجد الأثاث في الوقت الحاضر . فبماذا تنصح لي يا "بيشو" ؟؟

- أنصح لك بأن تقبض على اللصوص . ومتى قبضت عليهم . استطعت أن تستخلص منهم الحقيقة والمسروقات .

- وذلك ليس من الامور الميسورة . ولكن حدثني . هل معك أمر بإلقاء القبض ؟

- نعم .

- ولديك رجال تحت تصرفك ؟

- استطيع أن اتصل برجال الشرطة في كل لحظة لأطلب اعوانا..

- حسنا . اتصل إذن تليفونيا بإدراة الشرطة . واطلب إليهم ان يرسلوا إليك اليوم اثنين من أمهر وابرع واقوى رجالهم . بحيث يكون الرجلان في الانتظار بالقرب من حدائق "لوكسمبورج" . بجوار "الأوديون" ..

فنظر إليه "بيشو" كمن لا يصدق اذنيه وسال :

- هل تهزأ بي !!

- لا . أبدا . هل تعتقد انني يرضيني أن اكون مغفلا في نظر "اولجا" ؟؟ وبعد . افلم اكن دائما وفيا بالوعد ؟

ففكر "بيشو" قليلا . وخطر له فجاة أن "بارنيت" ربما كان جادا فيما يقول . وربما كان قد قضى الأيام الستة الماضية في تفكير عميق . للوصول إلى حل لهذا اللغز المعقد الم يقل "بارنيت" مرارا إن هناك حوادث والغازاً تحتاج إلى تفكير اكثر مما تحتاج إلى عمل وحركة واستجواب !!

ونهض "بيشو" في الحال إلى التليفون . واتصل بصديق له يدعى "البرت" . من أخلص أعوان مدير الشرطة . وتم الاتفاق على إرسال اثنين من مفتشي البوليس إلى "الأوديون" .

وعلى أثر ذلك . ارتدى معطفه . وكانت الساعة وقتئذ الثالثة . فانصرف الاثنان من مكتب (بارنيت وشركاه) .

سال "بيشو" :

- هل سنذهب إلى الحي الذي تقيم فيه "اولجا" ؟

- سنذهب إلى منزلها ..

- إلى الطابق الذي تقيم فيه ؟

- لا . بل إلى غرفة البواب وزوجته .

ودخلا غرفة البواب . واصدر "بارنيت" تعليماته إلى هذا الأخير بالا ينطق بكلمة واحدة او أن يعمل عملا من شانه ان يدل على وجوده

وصاحبه هناك .

واختبأ الاثنان وراء ستار . وشرعا يرقبان كل شخص يدخل أو يخرج .

وقد خرج أولا القس الذي يقيم في الطابق الأول . ثم خرجت إحدى خادمتي "أولجا" . حاملة في يدها سلة صغيرة لشراء بعض الحاجيات ..

وانقضت بعد ذلك مدة طويلة . لم يخرج أو يدخل خلالها أحد . حتى استولى الضجر على "بيشو" فهتف .

– ما غرضك من الانتظار هنا ؟! ماذا تريد ؟!

– أريد أن أعلمك مهنتك .

– ولكن .

– صه .

وفي منتصف الساعة الرابعة . دخل "ديلبريجو" . أستاذ "أولجا" . كان كعادته يرتدي ثوبا سنجابي اللون . وقبعة من القش ويلبس في يديه قفازا أبيض .

حيا "ديلبريجو" البواب بيده . ودخل . وصعد السلم .

ذلك لأنه اعتاد أن يلقي دورسه على "أولجا" في الألعاب الرياضية في مثل هذه الساعة كل يوم .

وبعد أربعين دقيقة . انصرف "ديلبريجو" . ثم عاد وبيده علبة تبغ ابتاعها .

وعند عودته . كان لا يزال يرتدي ثوبا سنجابيا . وقبعة من القش . ويضع في يديه قفازا أبيض .

ثم دخل بعد ذلك ثلاثة أشخاص آخرون . وبعد لحظة . هتف "بيشو" قائلا :

– انظر . ها هو "ديلبريجو" يدخل للمرة الثالثة . فمن أين خرج؟!

– خرج من هذا الباب على ما أعتقد .

فقال "بيشو" في تردد :

– لا اظن ذلك . وإلا فإننا لم نرقب الباب كما يجب ..

فما رايك يا "بارنيت" .

فترك "بارنيت" النافذة وهو يقول :

– رايي انه قد حان وقت العمل . فاذهب وادع زميليك يا "بيشو".

– هل احضرهما إلى هنا ؟؟

– نعم ..

– وانت ؟؟

– ساصعد إلى طابق "اولجا" .

– هل الحق بك ؟؟

– لماذا ؟

– ولكن ماذا تنوي ان تفعل ؟؟

– سوف ترى . إنما عليك و زميليك ان ترابطوا عند الطابق الثاني. وسادعوكم متى شعرت بالحاجة إليكم .

– إذن قد اعتزمت العمل .

– إلى النهاية ..

– ضد .

– ضد بعض السادة الذين لا يبدو من نظراتهم انهم ياخذون بسهولة . والآن اذهب .

فانصرف "بيشو" . اما"بارنيت" فإنه صعد إلى الطابق الثالث كما قال. ودق جرس الباب ففتحت الخادمة . وذهبت إلى غرفة الالعاب الرياضية حيث كانت "اولجا" تتلقى دورسها تحت إرشاد استاذها "ديلبريجو".

ولم يكد يقع بصر "اولجا" على "بارنيت" حتى هتفت به :

– ها هو السيد "بارنيت" العظيم . السيد "بارنيت" الخطير هيه . ماذا وراءك يا "بارنيت" . اجئتني بفراشي .

– تقريبا يا سيدتي . ولكن ارجو الا يكون حضوري قد ازعجك.

– على العكس ..

قالت ذلك بهدوء ووثبت تحت إشراف "ديلبريجو" وبإرشاده وثبة خطرة . فاطرى "ديلبريجو" براعتها واعلن انتهاء الدرس . ولبس قفازه الأبيض .. وقبعته المصنوعة من القش . وتاهب للخروج وهو يقول :

– إلى اللقاء إذن في المسرح الليلة يا مدام "اولجا" .

– الا تنتظرني لنذهب معا يا "ديلبريجو" ؟

يجب ان ترافقني إلى المسرح . لان والدتي ليست موجودة .

– لا استطيع ذلك هذا المساء . فإنني على موعد لإلقاء دروس قبل موعد العشاء .

وسار نحو الباب ولكنه عاد فتوقف . إذ رأى "بارنيت" قد سبقه واقام نفسه بينه وبين الباب .

وقال له "بارنيت" :

– هل تسمح لي ببضع كلمات معك يا سيدي . مادامت الفرصة السعيدة قد اوقفتني الليلة في طريقك .

– يوسفني انني لا استطيع لان ..

– هل تحب – هل تحب ان اقدم إليك نفسي مرة اخرى ؟ إنني أدعى "جيمس بارنيت" .. وصناعتي بوليس سري خاص أعمل لحساب مكتب "بارنيت وشركاه" . وانا من اصدقاء "بيشو" ..

فخطا "ديلبريجو" خطوة إلى الامام وهو يقول :

– أرجو المعذرة يا سيدي .. فإني على موعد .

– إن حديثنا لن يستغرق اكثر من بضع دقائق .. المسالة تتوقف فقط على قوة ذاكرتك .

– قوة ذاكرتي في اي شان ؟!

– في شان رجل تركي.

– رجل تركي ؟!

– نعم . اسمه "والي" .

فهز الأستاذ "ديلبريجو" راسه وأجاب :

– "والي" ؟! لم أسمع قط بهذا الاسم .

– هل سمعت باسم رجل روسي "يدعي "افيرنوف" !!

– لا .فمن هو "والي" . ومن هو "افيرنوف؛ ؟

– إنهما من القتلة الأشرار ..

فساد صمت قصير ثم قال الأستاذ وهو يضحك :

– من حسن الحظ ان ليس لي اصدقاء بين القتلة .

فقال "بارنيت" .

– قيل لي عكس ذلك . قيل لي إنك تعرفهما معرفة وثيقة .

فصعده "ديلبريجو" من قمة رأسه إلى قدميه ثم ساله :

– ما معنى هذا ! أوضح غرضك لانني ممن لا تروقهم الالغاز والاحاجي .

– إذن فتفضل بالجلوس يا مسيو "ديلبريجو" .. لنتكلم بإسهاب.

فبدرت من "ديلبريجو" حركة تدل على الضجر ، واستولى على "أولجا" الحسناء الفضول فاقتربت من الرجلين لتسمع حديثهما قال تحدث استاذها :

– اجلس يا "ديلبريجو" . ولا تنس أن المسالة تتعلق بفراشي المفقود.. فراش المركيزة "بومبادور" .

فقال "بارنيت" :

– هذا صحيح . والواقع يا مسيو "ديلبريجو" اني لا انوي إضاعة وقتك . ولكن حدث انني لم اكف منذ اسبوع عن التفكير في حادث السرقة الذي وقع في هذا المنزل . فهداني تفكيري إلى وجود شبه كبير بين هذا الحادث وحادثين آخرين مماثلين . كانا في وقت ما مدار حديث الناس جميعا ..

لذلك اردت أن أعرف رأيك في الموضوع . والأمر لا يستغرق أكثر من دقائق معدودة .

وكانت لهجة "بارنيت" قد استحالت من اللطف والدعة إلى البرود والرزانة . وكان التحول ظاهرا واضحا . مما ادهش "اولجا فوبان" وضاعف فضولها.

قال "ديلبريجو" :

- إذن تكلم واسرع .

- اصغ إلي إذن .

حدث منذ ثلاثة اعوام تقريبا ان جوهريا (تاجر جواهر) يدعى السيد "ساروا" كان يقيم مع والده في الطابق الاعلى من منزل كبير قائم في قلب باريس . وكانت للسيد "ساروا؛ هذا علاقة عمل برجل "تركي" .. يرتدي ثياب الأتراك ويدعى "والي" ..

وكان هذا التركي يعمل بالاتجار في الأحجار التي من الطبقة الثانية:

"كالزمرد" والأحجار الشرقية ..

وفي يوم تردد فيه "والي" مرارا على بيت الجوهري "ساروا" عاد هذا الاخير من المسرح في المساء فوجد والده مطعونا بخنجر ووجد خزانته مفتوحة وثروته من الجواهر الكريمة مسروقة ... وقد اثبت التحقيق ان الذي ارتكب الجريمة ليس "والي" نفسه الذي استطاع أن يثبت بما لا يقبل الشك انه كان في مكان آخر وقت ارتكاب الجريمة .

وإنما ارتكبها شخص آخر كان "والي" قد ادخله المنزل بعد ظهر ذلك اليوم وقد كان من المستحيل معرفة هذا الشخص الآخر واعتقاله . كذلك إثبات اية تهمة ضد الرجل التركي .

وقد أهمل التحقيق اخيرا . وحفظت القضية فهل تتذكر هذا الحادث فاجاب "ديلبريجو" .

- إنني لم احضر إلى "باريس" قبل سنتين .. هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فإنني لا استطيع أن أرى الصلة بين ..

فقاطعه "بارنيت" مستطردا :

- وبعد عشرة اشهر تقريبا من الحادث الاول . وقع حادث مماثل . ذهب ضحيته رجل من كبار هواة طوابع البريد يدعى "دافول" .. وكان بطل هذا الحادث الجديد . هو شخص مجهول . ادخل إلى بيت "دافول" وخبئ فيه بواسطة رجل "روسي" يدعى الكونت "افيرنوف" ..

وهنا هتفت "اولجا فوبان" وهي ممتقعة الوجه :

- إنني اذكر هذا الحادث .. فقد قرات عنه في الصحف .

فاستطرد "بارنيت" :

- وقد لاحظت - كما سبق أن ذكرت - وجوه شبه عدة بين هذين الحادثين . وحادث السرقة الذي وقع في هذا المنزل ..

فالحادثان اللذان ذهب ضحيتهما مسيو "ساروا" ومسيو "دافول" . كان بطلاهما رجلين من الأجانب .

وكانت الطريقة التي لجا إليها . هي ذات الطريقة التي استخدمت هنا، ففي كل مرة .. خبا المجرم شريكا او شركاء في المنزل لإنفاذ الخطة الموضوعة . ولكن ما هي هذه الخطة ؟

هذا ما قضيت ستة أيام متوالية في التفكير فيه .. وقد كدت اعترف بأن حادث السرقة الذي وقع في هذا المنزل هو لغز شديد التعقيد.. لولا انني تذكرت حادثي "والي" و "افيرنوف" .

فهتفت "اولجا" بحماسة شديدة :

- وهل ساعدك ذلك على حل اللغز ؟

فاجاب "بارنيت" :

- نعم . واعترف لك أن الخطة التي اتبعت في هذه الحوادث الثلاثة.. واتبعت بغير شك في حوادث اخرى لم تصل إلى علمي.. هي خطة مبتكرة بارعة .. تستحق أن توصف بانها (فنية) ..

وتتلخص هذه الخطة فيما يلي :

يعمد اللصوص والقتلة العاديون إلى دخول البيوت خلسة . او قهرا.. أو بمساعدة احد العمال او الخدم .. فيعملون في وجل .. و بوسائل مبتذلة .. ينقصها الابتكار وتعرض اصحابها لأشد الأخطار . أما أصحاب الطريقة المبتكرة التي اتحدث عنها .. فإنهم قوم يعملون في وضح النهار وهم مرفوعو الراس موفورو الكرامة.

فهم يدخلون علانية المنازل التي اعتادوا غشيانها . والتي يعرفهم أهلها حق المعرفة .

وفي اليوم المحدد للعمل .. يدخلون المنزل ويخرجون .. ثم يدخلون ويخرجون .. ويدخلون اخيرا .. ومتى اصبح رئيس العصابة في الداخل .. واعني برئيس العصابة هنا الشخص الذي اعتاد غشيان المنزل وزيارة أهله متى اصبح هذا الرئيس في الداخل .. دخل في أثره شخص آخر من رجال العصابة يشبه الرئيس .. إن لم يكن في تقاطيع وجهه .. ففي قوامه . وهندامه .. على الاقل .. بحيث يخيل إلى الناظر إليه على مبعدة انه هو الشخص الذي يعرفه أهل المنزل ..

خطة بديعة .. أليست كذلك يا مسيو "ديلبريجو" !!

وحدج "بارنيت" الأستاذ بنظرة فاحصة ثم استطرد :

– إنها فكرة طريفة فذة .. تدل على العبقرية والابتكار وفي اعتقادي ان مثل هذه الفكرة لا يمكن أن تخطر لرجلين في وقت واحد . وأن "والي" التركي .. لابد وأن يكون هو بعينه "افيرنوف" الروسي . فإذا صح هذا الاعتقاد .. وهو صحيح ..

افلا يكون "والي" أو "افيرنوف" قد رأى من الضروري لارتكاب الحادث الجديد الذي نحن بصدده أن يتنكر في شخصية جديدة . وفي جنسية جديدة .!

واقول جنسية جديدة . لأن صاحب هذه الفكرة المبتكرة يعلم حق العلم أن الشخص ذا الجنسية الأجنبية . والمظهر .. يلفت الأنظار أكثر من الشخص العادي .. فإذا دخل المنزل او خرج خمس مرات في يوم واحد وفي ساعة واحدة ..انصرفت عنه الأذهان ولم يفطن أحد إلى دخوله للمرة السادسة .

وقد تنكر صاحبنا هذا أولا في زي تركي ثم في زي رجل روسي، فترى في اي زي وباية جنسية تنكر هذه المرة ؟

ومن هو الشخص او الأشخاص الذين يغشون هذا المنزل ويترددون عليه . ولهم صفة الأجانب .. ومظهر يلفت النظر ؟

وهنا ساد صمت قصير ..

ظهرت على وجه "أولجا فوبان" علامات الاستنكار والاشمئزاز ..

ذلك أنها فهمت منذ البداية الغرض الذي يرمي إليه "بارنيت" من هذه المناقشة.. فقالت له بلهجة الاحتجاج :

- لا .. إن كلامك ينطوي على إشارة لا اسمح بها .

فابتسم "ديلبريجو" وقال بقلة اكتراث :

- دعيه يا مدام "أولجا" . إن السيد "بارنيت" لا يقصد غير الدعابة بغير شك .

فقال "بارنيت" :

- الواقع أنني لا اقصد غير الدعابة يا سيد "ديلبريجو" . وقد يكون لديك من الأسباب ما يحملك على أن تنظر إلى القصة التي سردتها الآن نظرة غير جدية .

أنا أعلم بالتاكيد انك الأجنبي الوحيد الذي يغشى هذا المنزل .. ويتردد عليه وانك كذلك الشخص الوحيد الذي يرتدي ملابس تلفت النظر .. اهمها قبعة القش . والقفاز الأبيض .

كذلك الاحظ على تقاطيع وجهك انها من النوع الذي يساعد صاحبها على التنكر .. فانت تستطيع افضل من أي إنسان آخر أن تتنكر في زي رجل تركي .. أو في زي رجل روسي .

ثم إن لك فضلا عن ذلك عملا .. هذا المنزل يبرر ترددك عليه مرارا كل يوم ..

نعم .. أنا أعلم والاحظ كل ذلك يا سيد "ديلبريجو" .. ولكن أعلم إلى جانب هذا انك رجل شريف . وأن لك سمعة حسنة .. لا يمكن أن ياتيها الشك من أية ناحية . والسيدة "أولجا فوبان" نفسها تقرر ذلك . وتشهد به .. فانا إذن لا اقصد إلى اتهامك . ولكن ماذا أستطيع أن افعل ؟!

لعلك تشعر بحيرتي .

إن الشخص الوحيد الذي في مقدوره ارتكاب الحادث الذي ارتكب هنا . هو أنت . ولكنك رجل فوق الشبهات ..

ولا يمكن اتهامك . اليس كذلك يا مدام "أولجا فوبان" ؟

فاجابت "أولجا" وعيناها تلمعان بحماسة وقلق :

– لا ... لا .. من المؤكد انه فوق كل شبهة فمن تتهم إذن ؟ وما الوسيلة لمعرفة المجرم الحقيقي ؟

– الوسيلة يسيرة غاية اليسر .

– وهي ..

فقال "بارنيت" :

– إنني نصبت فخا ...

– نصبت فخا !! وكيف ذلك ؟

فسألها "بارنيت" بدوره .

– هل اتصل بك تليفونيا أول أمس شخص يدعى البارون "لوريان" ؟

– نعم ! . هذا صحيح .

– وقد جاء هذا البارون لزيارتك أمس !؟

– نعم .. نعم ..

– وحمل إليك علبة كبيرة مكسوة بالقطيفة تحتوي على كمية من ادوات المائدة عليها شعار المركيزة "بومبادور" ؟ .

– نعم . وها هي موضوعة على المائدة .

– وهذا البارون رجل اضاع كل امواله في المقامرة .. ولذلك يريد بيع هذه التحفة الثمينة التي ورثها عن اسلافه العظام .. ولما كان يعلم عن شغفك باقتناء المخلفات الأثرية الثمينة .. ولا سيما مخلفات الحسناء الساحرة المركيزة "بومبادور" . فإنه جاء يعرض تحفه عليك لكي تبتاعيها إذا شئت ولكنك لم تقطعي في الأمر برأي في الحال . وطلبت إليه ان يمهلك حتى يوم الثلاثاء ..

نظرت إليه "اولجا فوبان" في دهشة وهتفت:

– هذا صحيح . كيف علمت ذلك ؟!

– إنني انا البارون "لوريان" .. انا إذن عرضت على مائدتك التحف التي جئتك بها ..

– نعم .

– وفي الوقت نفسه تسلمت والدتك برقية تدعوها إلى الانتقال في

الحال إلى الضواحي لرؤية أختها المريضة جدا .

- من قال لك هذا؟

- أنا الذي أرسلت البرقية .

وهكذا رحلت والدتك إلى الضواحي .. وظلت التحفة الفنية الثمينة معروضة على المائدة .. حيث في نيتك إبقاؤها معروضة إلى غد ... وبقاء التحف في موضعها هذا ..

وفي مثل هذه الظروف إغراء شديد للشخص المقرب إليك الذي استطاع سرقة محتويات مخدعك أقول إن بقاء هذه التحف في هذا المكان هو إغراء لذلك الشخص على أن يقوم بمحاولة أخرى جريئة يقتنص بها هذه التحف .

فاستولى الذعر على قلب "أولجا" فجاة وصاحت :

- وهل تجرى هذه المحاولة الليلة .

- نعم . الليلة .

فقالت بصوت مرتجف :

- ولكن هذا مخيف ..

وكان "ديلبريجو" قد أصغى إلى هذا الحديث في هدوء ودون أن يظهر عليه أثر من آثار الاضطراب فنهض واقفا وهو يقول :

- لا داعي للخوف و الجزع يا مدام "أولجا" . مادام السيد "بارنيت" قد حذرك بحسبك أن تخطري البوليس بالأمر ..

وإذا شئت فعلت ذلك بالنيابة عنك .

فهتف "بارنيت" بلهجة الاحتجاج .

- لا . لا تفعل . إنني في حاجة إليك يا "ديلبريجو" .

- لا أدرى كيف أستطيع أن أكون مفيدا لك .

- كيف ذلك ؟ إنك ستفيدني كثيرا . لأنك ستساعدني في القبض على الشريك .

فقال "ديلبريجو" :

- لا يزال لدينا متسع من الوقت . مادامت المحاولة ستقع في

المساء.
- هذا صحيح . ولكن يجب أن تذكر أن الشريك يتعين عليه أن يدخل المنزل مبكرا ..
- هل دخل فعلا ؟!
- منذ نصف ساعة .
- ماذا تقول ؟! منذ نصف ساعة !؟ أي منذ دخلت ؟؟
- منذ دخلت للمرة الثانية ..
- هذا غير معقول ..
- إنني رأيته يدخل . كما أراك الآن ..
- إذن فهو مختبىء في هذا المنزل ؟
- نعم .
- نعم ؟؟

فأشار "بارنيت" بإصبعه نحو الباب وقال :
- إنه مختبىء هناك في الدهليز . داخل دولاب للملابس لا ينتظر فتحه هذا المساء .. وهو لا يزال موجودا داخله ..
- ولكن .. من المؤكد انه لم يكن في استطاعته أن يدخل وحده .
- لا . لم يكن ذلك في استطاعته ..
- من فتح له الباب إذن ؟!
- انت يا "ديلبريجو" ..

كان من الجلي الواضح منذ بداية الحديث أن "بارنيت" يرمي إلى اتهام أستاذ الرياضة البدنية .

يبدو أن العبارة الأخيرة التي نطق بها "بارنيت" كانت اتهاما صريحا وفجائيا . فاضطرب "ديلبريجو" . ولم يستطع السيطرة على المشاعر التي تمكن حتى الآن من كظمها ..

وارتسم على وجهه في الحال مزيج من الخوف والغضب والقلق.. وتردد فيما يجب عليه صنعه واستولت عليه رغبة شديدة في أن يعمل عملا عنيفا .

وشعر "بارنيت" بتردده . فانتهز الفرصة واسرع إلى الدهليز وفتح الدولاب .. واخرج منه رجلا دفعه امامه إلى قاعة الرياضة .

صاحت "اولجا" :

– إذن كان صحيحا كل ما ذكرت !!

كانت للرجل قامة مثل "ديلبريجو" . وهو يرتدي مثله ثوبا سنجابيا وقفازا ابيض وقبعة من القش ..

بل لقد كان هناك تشابه ظاهر بين تقاطيع وجهيهما ..

* * *

دهشت "اولجا" . واخذت تبتعد عن الرجال الثلاثة في خوف وجزع دون أن تحول عينيها عن وجوههم ..

قال "بارنيت" وهو يضحك :

– عجيب ... إنهما ليسا توءمين ولكن الشبه بينهما يبدو تاما بسبب ملابسهما وقامتيهما ..

* * *

وفي هذه الاثناء . كان المجرمان قد تخلصا من دهشتهما وحيرتهما فلاحظا في الحال انهما اثنان .. وأن غريمهما شخص واحد نحيف القامة .. يشبه المهرجين في معطفه القديم البالي .

نطق "ديلبريجو" بكلمة بلغة اجنبية فهمها "بارنيت" في الحال وقال:

– لا داعي للكلام باللغة الروسية لكي تسال شريكك عما إذا كان قد أحضر معه مسدسه :

فاستولى الغضب على "ديلبريجو" .. وقال كلاما بلغة أخرى فضحك "بارنيت" وقال :

– اطمئن ... فإني اعرف اللغة التركية كما اعرف الفرنسية ..

ويجب بهذه المناسبة ان اقول لك إن مسيو "بيشو" مفتش البوليس

وزوج "اولجا" ينتظر ومعه اثنان من اعوانه . فطلق ناري واحد يجعلهم يسرعون إلينا ..

وهناك تبادل "ديلبريجو" وزميله نظرة سريعة واقتربا نحوه . فادرك غرضهما وقال وهو يبتسم :

– انتبهي جيدا يا مدام "اولجا" .. سترين الآن منظرا يدخل السرور إلى نفسك .. سترين عملاقين ينقضان على مخلوق واحد نحيل .

هلم يا "ديلبريجو" . بالهجوم .. تشجع . واطبق على عنقي ..

ولم يكن يفصل بينهما وبينه غير ثلاث خطوات . فانقضا عليه باسرع من لمح البصر .. ولكنه انحنى إلى الامام ..

وامسك بساقيهما وضربهما بسرعة فسقطا على الأرض .

وقبل أن يتمكنا من الدفاع عن نفسيهما شعرا باصابع من الفولاذ تقبض على عنقيهما .. وتسمر راسيهما بالأرض فكفا عن الحركة وشعرا بالاختناق . وتراخت سواعدهما فلم يستطيعا مقاومة .

قال "بارنيت" بهدوء محدثاً "اولجا" .

– "اولجا فوبان" . أرجو أن تتكرمي بفتح الباب واستدعاء "بيشو" .

فاسرعت "اولجا" نحو الباب بكل ما تسمح لها قوتها المتخاذلة ففتحته وصاحت :

– "بيشو" .. "بيشو" ..

ولما لحق بها "بيشو" قالت له بمزيج من الحماسة والرعب :

– لقد اوقعهما في الفخ . وحده وبمفرده . من الذي كان يظن انه يستطيع أن يفعل ذلك !!

ودخل "بيشو" وهو لا يكاد يصدق اذنيه فقال له "بارنيت" :

– خذ (زبونيك) يا "بيشو" . ليس عليك إلا أن تزين معاصمهما بالأصفاد .. لكي يلتقطا انفاسهما .. قبل أن تخنقهما اصابعي ..

لا . لا تضغط على عنقيهما يا "بيشو" اؤكد لك انهما سيلزمان جانب الهدوء والدعة فلا يحاولان الفرار .

اليس كذلك يا "ديلبريجو" ؟

وبعد ان ترك فريسته للمفتش "بيشو" تناول يد اولجا" ... وقبلها فنظرت إليه المغنية الرشيقة نظرة ساحرة ثم هتفت في جذل :

- ما كان ابدعها معركة يا "بيشو" !! لقد أسفرت عن اقتناص ذئبين من اخطر الذئاب واشدها دهاء .

يا "ديلبريجو" .. دعني اهنئك على براعتك .. وطريقتك المبتكرة.

وغرست إصبعها الصغير في صدره .. بلطف .. وفي غير غضب او موجدة .

استطرد "بارنيت" قائلا :

- نعم .. إنه ابتكر اسلوبا فذا .. وطريقة مبتكرة .... ادركتها بعد تفكير طويل .. استغرق ستة أيام ..

وعندما كنت كامنا مع "بيشو" في غرفة البواب لمراقبة الداخلين والخارجين .. لاحظت في الحال أن الشخص الذي دخل اخيرا لم يكن انت يا "ديلبريجو" . بل كان شريكك الذي يرتدي مثلك ثوبا سنجابيا وقفازا ابيض . ويرخي على عينيه قبعة من القش .

اما "بيشو" فإنه ارتاب في الأمر .. وتردد قليلا . ثم وقع في الفخ واعتقد أن الشخص الذي دخل أخيرا هو "ديلبريجو" ..

الذي سبق أن دخل وخرج مرارا .

ولما صعد "ديلبريجو" رقم ٢ إلى الطابق الثالث . تسلل من الباب الذي تركه "ديلبريجو" رقم ١ مفتوحا خصيصا . واختبا في الدولاب .. كما حدث تماما ليلة أن اختفت غرفة النوم .وتلاشت في الظلام .

نعم .لا ازال أكرر انك رجل موهوب يا "ديلبريجو" رقم ١ .

ولاشك أن "بارنيت" كان شديد الاغتباط بفوزه . بدليل انه لم يكتم سروره وارتياحه . . فوثب بخفة النمر إلى إحدى الحلقات المدلاة بالسقف .. وتعلق بها .. وراح يقوم بالعاب جريئة تدل على خفة كخفة القردة . حتى شبه للناظرين انه قرد يتواثب في قفصه.

وكان أعجب ما فيه وهو يفعل ذلك .. ذيل معطفه القديم الذي كان ينثني وينبسط مع حركاته . كانه ذيله .

وراحت "اولجا" ترقبه . وهي مشدوهة معجبة بخفته وقوة عضلاته.. ولم تفق من دهشتها حتى راته يترك الحلقة بسرعة ويثبت امامها تناول يدهابسرعة . وضعها على قلبه وهو يقول :

– ضعي يدك على قلبي ايتها الغانية الحسناء .. هل ينبض من الإجهاد والتعب ؟ .. كلا .

ثم وثب إلي جهاز التليفون .. وتناول السماعة وحرك قرص التليفون وتكلم :

– آلو ... آلو . إدارة البوليس . قلم المباحث ... اهذا انت يا "البرت"!! نعم .. انا "بيشو" ... الا تعرف صوتي ؟! هذا غير مهم... ابلغ اولي الشان أن المفتش القى القبض على الشقيين اللذين سرقا غرفة نوم "اولجا فوبان" .

ثم وضع السماعة . وبسط يده إلى "بيشو" واستطرد :

– كل المجد لك يا صديقي العزيز ... وانت يا سيدتي .. إلى اللقاء وانت يا "ديلبريجو" !! لماذا تنظر إلي هكذا ..

فاجاب "ديلبريجو" وهو لا يحول بصره عن وجه "بارنيت" ::

– إنني افكر في انه لا يوجد في فرنسا غير شخص واحد في مقدوره أن يوقع بي كما أوقعت انت بي .

– ومن هو هذا المنافس العزيز !!

– "أرسين لوبين" ...

فهتف "بارنيت" :

– هذا استنتاج عجيب !! . وداعا يا "ديلبريجو" نصيحتي لك ان تحافظ على راسك جيدا . لانه لم يعد ثابتا تماما بين كفتيك .

ثم ضحك ملء فمه وودع "أولجا فوبان" للمرة الثانية وانصرف وهو يغني غنوتها الشهيرة :

(إيزيدور يحبني . ولكني أحب ريمون..) . وفي اليوم التالي ضيق المحققون الخناق على "ديلبريجو" فانكر أولا ثم اعترف أخيرا بالسرقة ودل على المكان الذي أخفى فيه أثاث غرفة "أولجا فوبان" .. وهو

حظيرة للسيارات في ضواحي "باريس" .

وقد كان ذلك اليوم الذي اعترف فيه "ديلبريجو" هو يوم الثلاثاء.. فرد إلى "اولجا" اثاث بيتها في ذلك اليوم .. وهكذا انفذ "بارنيت" وعده لها .

* * *

وقد اضطر "بيشو" بحكم عمله إلى قضاء بضعة الأيام التالية في الأقاليم ، فلما عاد .. وجد رسالة من "بارنيت" يقول فيها :

"اعترف بانني كنت لطيفا وحسن الذوق .. فلم افد من حادث زوجتك سنتيما واحدا .. ولم يصدر عني ما يضايقك بحال .. فبحسبي أن انال تقديرك .. فذلك خير الجزاء " .

وبعد ظهر ذلك اليوم قرر "بيشو" الذهاب بنفسه إلى بارنيت" ليقطع صلته به .. لأنه لم يستطع أن يغفر له أنه عامله بسخرية .. وتهكم وحقره أمام "اولجافوبان" ..

ولكنه عندما وصل إلى مكتب "بارنيت" وشركاه في شارع "دي لابورد". وجد باب المكتب مغلقا . وعليه لوحة كتب عليها :

"مغلق بسبب الحب"

"يفتح بعد شهر العسل"

فاستولى على "بيشو" قلق مبهم ... وسأل نفسه : ترى ماذا يعني هذا الشيطان !

وتحركت ريبه وشكوكه . فاسرع إلى بيت "اولجا فوبان" .. ولكنه وجد الباب مغلقا كذلك فشد رحاله إلى مسرح "الفولي برجير" وهناك قيل له إن الفنانة الكبيرة "اولجا فوبان" حصلت فجاة على إجازة .. ويظن انها انطلقت في سياحة .. وهنا فهم "بيشو" كل شيء .. وسار في الشارع وهو يشتم ويصخب .. ويسائل نفسه :

– هل يمكن هذا ؟! هل يمكن ان يكون هذا الشيطان قد عز عليه أن يؤدي عملا مجانا فانتهز فرصة انتصاره وفوزه .وسمح لنفسه بان

يغري . يغري "اولجا" .. كيف اتاكد .. كيف اقطع الشك باليقين ..

* * *

ولكنه كان يؤثر بينه وبين نفسه ان يظل في شك . . فالشك في مثل هذه الحالة أرحم بقلب العاشق من اليقين ..

ولكن من سوء حظ "بيشو" أن "بارنيت" لم يكن من أولئك الذين يتركون فريستهم في راحة بال .. فكان العاشق يتسلم كل يوم تذكرة بريد مصورة .. من إحدى البلدان التي اعتاد العشاق غشيانها . وعلى كل تذكرة بضع كلمات بخط "بارنيت" : كقوله :

"ما أبدع نور القمر في روما يا "بيشو" .. "او (إذا احببت مرة يا "بيشو" .. فلا تنس ان تذهب بحبيبتك إلى سيلسيليا) .

* * *

وكانت آخر تذكرة تسلمها "بيشو" من "بارنيت" تحمل ختم بريد مدينة البندقية . فعض أسنانه ضيقا وغمغم قائلا :

– أيها الوقح .. إنني غفرت لك كل شيء ... ولكن ما فعلته هذه المرة لا يقبل الغفران ... فإلى اللقاء .. والانتقام قريب .

- ٤ -

"بيشو" يقبض علي "بارنيت"

اجتاز "بيشو" باب إدارة الشرطة بخطوات سريعة .. وصعد السلم .. ودخل غرفة رئيسه المباشر دون أن يقرع الباب ويستاذن في الدخول .. ورد على النظرة المتسائلة التي ارتسمت في عيني رئيسه بقوله :

- لقد وضع "بارنيت" إصبعه في حادث "ديروك" ..

إنني رايته بعيني راسي .. وهو يحوم حول بيت النائب "ديروك".

وكان "بيشو" يتكلم بصوت متهدج مضطرب يدل على الانفعال . الشديد فدهش رئيسه وساله :

- "بارنيت" ؟! من هو "بارنيت" هذا !؟

فاجاب "بيشو" :

- البوليس السري الخاص .. الذي حدثتك عنه مرارا .. والذي اختفى منذ بضعة اسابيع .

- مع الراقصة "اولجا" ؟

فصاح "بيشو" في غضب :

- نعم .. مع "اولجا" .. زوجتي السابقة

- ماذا تريد إذن ؟

- إنني تعقبته ..

- دون أن يشعر ؟

- إن الرجل الذي أتعقبه لا يمكن أن يشعر بذلك يا سيدي وعلى الرغم من أن هذا الشقي لم يخطر له ببال قط أنني أتعقبه .. فإنه اتخذ جميع الاحتياطات اللازمة .. لتضليل من يفكر في مطاردته . فدار حول ميدان "الايتوال" واجتاز شارع "كليبر" . ووقف في ميدان "تروكاديرو" بالقرب من امراة جالسة على أحد المقاعد .

وقد لاحظت على المرأة انها من نوع النساء البوهيميات .. ولكنها

على جانب عظيم من الجمال .

وبعد دقيقة أو دقيقتين . دار الحديث بينهما .. وخيل إلي انهما يتكلمان .. دون أن تتحرك شفاههما . وقد حولا ابصارهما مرارا وهما يتحدثان شطر منزل قائم في الركن بين شارع "كليبر" ... والميدان ..

ومن ثم ابتعد "بارنيت" عن المراة .. ووثب إلى ترام "المترو"

- وكنت تتعقبه طوال الوقت ؟

- نعم .. ولكن من سوء الحظ .. أن سيارة مرت بيني وبين ترام المترو عندما كنت اهم باللحاق به ! . وهكذا لم اتمكن من الوثوب إلى الترام الذي أفلت فيه "بارنيت" .

وعندما رجعت أدراجي إلى الميدان .. وجدت أن المراة البوهيمية قد انصرفت .

والمنزل الذي كانا يرقبانه . هل ذهبت إليه .. هل دخلته ؟

- سأسرد عليك التفاصيل بالترتيب يا سيدي الرئيس ، يقيم منذ شهر في الطابق الرابع من هذا المنزل ضابط كبير بالمعاش هو الجنرال "ديروك" والد النائب "ديروك" المتهم في إحدى القضايا وقد جاء الجنرال من الاقاليم - كما تعلم - خصيصا للدفاع عن ابنه المتهم بالاختطاف والقتل .

وهنا ظهرت على وجه الرئيس علامات الاهتمام الشديد بحديث "بيشو" فسأله :

- وهل قابلت الجنرال ؟

- إنني طرقت بابه . ففتحه بنفسه .. وعندئذ أوضحت له المنظر الذي شهدته .. أعني منظر مقابلة "بارنيت" وتلك البوهيمية ... والحديث الغامض الذي دار بينهما ونظراتهما إلى منزله فلم يدهش الرجل وقال لي إن امراة بوهيمية زارته وقدمت نفسها إليه بصفتها عرافة وعرضت عليه خدماتها وطلبت منه أجرا ثلاثة آلاف فرنك .. فتردد . ولما لاحظت تردده .. قالت له إنها ستنتظره في اليوم التالي في الميدان .. حتى إذا فتح النافذة بين الساعة الثانية والساعة الثالثة

واشار بيده .. كان معنى ذلك انه يدعوها لمقابلته .

- وماذا عرضت عليه المراة البوهيمية ؟

- عرضت عليه ان تاتيه بالصورة الفوتوغرافية الثمينة ؟

فهتف الرئيس :

- الصورة الفوتوغرافية التي نبحث عنها سدى .

- نعم .. الصورة التي تثبت براءة النائب "ديروك" او تثبت إدانته وفقا لوجهتي نظر الاتهام . والدفاع .

فساد صمت طويل . ثم غمغم الرئيس قائلا :

- هل تعلم يا "بيشو" مبلغ اهتمامنا بالحصول على هذه الصورة الفوتوغرافية ؟

- أعلم ذلك

- نحن نعلق عليها اهمية تفوق كثيرا مبلغ تصورك ، إن من المهم جدا يا "بيشو" أن تمر هذه الصورة الفوتوغرافية بين ايدينا قبل ان تصل إلى النيابة ..

ثم غمغم بصوت خافت :

-البوليس أولا ..

فاجاب "بيشو":

-ستمر الصورة الفوتوغرافية بين يديك قبل ان تصل إلى ايدي النيابة فاطمئن ياسيدي الرئيس . ساتيك بها وآتيك كذلك بالبوليس السري"بارنيت" .

* * *

حدث قبل ذلك بشهر أن المالي الكبير السيد "فيرالدي" .. وهو رجل معتبر من ملوك باريس نظرا لمركزه المالي . وسعة ثروته . وصلاته بالساسة والحاكمين . ونجاحه المتوالي في جميع مشروعاته - حدث أن هذا الرجل كان على موعد مع زوجته لتناول طعام الغداء، فانتظرها في الوقت المحدد فلم تحضر . واقبل المساء ، وانقضى الليل كله دون

ان تعود او يقف لها على اثر .

وابلغ السيد "فيرالدي" الأمر إلى رجال البوليس ، فقاموا بابحاثهم ودلت التحريات دلالة حاسمة على ان مدام "كرستينا فيرالدي" خرجت من منزلها الكائن على حافة غابة بولونيا ..

وسارت على قدميها بقصد النزهة وتنسم هواء الصباح كعادتها كل يوم . فقابلها في نزهتها رجل هاجمها في طريق مهجور وحملها في سيارة مغلقة انطلق بها بسرعة عظيمة نحو شاطىء السين .

وكانت حركات هذا الرجل المجهول الذي اختطف زوجة "فيرالدي" تدل على انه شاب في مقتبل العمر . ولم يتبين أحد تقاطيع وجهه تماما وكل ما عرف عنه انه كان يرتدي معطفا أزرق اللون . ويضع على راسه قبعة سوداء .

وانقضى يومان عقب حادث الاختطاف دون أن يظهر في الأمر جديد.

وبعد ظهر اليوم الثالث . حدث حادث فجائي ..

فقد شهد بعض المزارعين الذين كانوا يسيرون في الطريق بين "شارتر" وباريس سيارة منطلقة بسرعة مخيفة .

ثم خيل إليهم أن باب السيارة فتح في اثناء انطلاقها بتلك السرعة . والقيت منها امراة ..

وفي ذات الوقت . حادت السيارة عن الطريق ..

وسقطت في أحد الحقول . وانقلبت فوق نفسها ..

وقد وثب منها حال سقوطها رجل كانت نجاته من الموت باعجوبة ..

وقد عاد هذا الرجل ادراجه مسرعا . واتجه شطر المكان الذي سقطت فيه المراة .

ولكن المراة كانت ميتة . فنقلت إلى إحدى القرى القريبة . واخطر رجال البوليس بالحادث .

ولم يحاول الرجل الذي سقطت به السيارة كتمان اسمه ، فقد قرر في غير تردد انه "جان ديروك" عضو مجلس النواب وزعيم المعارضة في المجلس .

اما المرأة التي اهلكت في هذا الحادث المخيف فلم تكن سوى مدام "فيرالدي" .

* * *

وعلى اثر ذلك بدأت معركة مخيفة لعب فيها الزوج والعدالة دورا بارزا . لاسيما وان بعض الوزراء كان يهمهم إدانة "جان ديروك" زعيم المعارضة .. فراحوا يستخدمون نفوذهم لجمع الادلة ضد النائب .

لم يكن هناك شك في ان النائب "جان ديروك" هو الذي اختطف مدام "كرستينا فيرالدي" . ذلك لانه كان يرتدي معطفا ازرق اللون وقبعة سوداء . وتنطبق اوصافه على أوصاف الشخص الذي دلت التحريات على انه اختطف زوجة "فيرالدي" . هذا من ناحية ..

اما من ناحية القتل .. فقد قرر المزارعون الذين شهدوا المأساة انهم رأوا يدي الرجل وهو يقذف بالمرأة التعسة من باب السيارة..

وبإزاء ذلك لم يجد المحقق بدا من طلب رفع الحصانة البرلمانية عن النائب تمهيدا لإلقاء القبض عليه .

وقد كان موقف النائب "ديروك" في أثناء التحقيق عجيبا .

فإنه اعترف بجريمة الاختطاف . في غير لف او دوران ولكنه اهتم بتكذيب شهادة المزارعين . قائلا :

– إن مدام "فيرالدي" هي التي وثبت من المركبة من تلقاء نفسها وإنه فعل المستحيل لكي يمنعها من ذلك .

ولكنه لزم الصمت التام . رفض الإدلاء باي بيان عن الأسباب التي حملتها على الانتحار . بل ورفض إيضاح ظروف حادث الاختطاف وأين وكيف قضى اليومين السابقين للحادث والمكان الذي ذهب بها إليه .

لزم الصمت التام عندما سئل عن هذا كله، بل ولم يستطع المحقق ان يثبت بحال كيف ومتى عرف المتهم مدام "فيرالدي" هل كانت هي ايضا تعرفه لان زوجها قرر بانه لم ير المتهم في حياته قط .

وكان كلما ضايقته الأسئلة أجاب :

- ليس عندي ما أقوله . اعتقدوا ما تريدون اعتقاده وافعلوا بي ما تريدون مهما حدث فإنني لن أقول أكثر مما قلت ..

* * *

وعندما اجتمعت اللجنة البرلمانية الخاصة ببحث مسائل رفع الحصانة عن النائب .. ورفض "ديروك" المثول أمامها والدفاع عن نفسه..

وإزاء ذلك لم تر اللجنة مفرا من رفع الحصانة البرلمانية عنه لتمكين البوليس من القبض عليه .

وفي اليوم التالي عندما قصد بعض رجال البوليس - وبينهم "بيشو" - إلى بيت النائب لتنفيذ أمر القبض عليه فتح لهم الباب بنفسه وقال :

- إني على استعداد للذهاب معكم أيها السادة .

* * *

وقد قام رجال البوليس بتفتيش منزل النائب تفتيشا دقيقا . وجدوا في الموقد من الآثار مادل على أنه أحرق أوراقا كثيرة .

فتشوا الأدراج . والدواليب . والكتب . وأخذوا جميع ما عثروا عليه من أوراق ورسائل .

وكان النائب المتهم يرقب عملية التفتيش بقلة اكتراث ولا يعارض في أي إجراء .

ولكن شاءت الأقدار أن يقترن التفتيش في النهاية بموقف عنيف لم يكن في حسبان أحد .

فقد حدث أن "بيشو" - وكان أبرع المفتشين الذين قاموا بتفتيش المنزل - عثر في أحد الملفات التي وجدت في مكتب النائب . على ورقة صغيرة ملفوفة لفا اسطوانيا . وتدل جميع الظواهر على أنها انحدرت

في الملف عفوا ..

تناول "بيشو" هذه الورقة الصغيرة واراد ان يتحقق من امرها . ولكنه لم يكد يحاول بسطها بين اصابعه ... حتى هجم عليه النائب "ديروك" فجاة . واختطفها من بين يديه، وهو يقول بحدة :

– انت ترى انها قصاصة ورق لا قيمة لها ..

إنها صورة فوتوغرافية . عتيقة انتزعت من الورق المقوى الذي كانت ملصقة عليه .

* * *

على أن عمل "ديروك" اثار ريبة "بيشو" .. . فاراد انتزاع الورقة منه ، ولكن النائب وثب إلى الخارج واغلق الباب خلفه . ونفذ إلى الغرفة المجاورة حيث كان أحد رجال الشرطة واقفا في الحراسة . وتمكن "بيشو" وزملاؤه من فتح الباب ، ولحقوا بالنائب وهناك دارت بينهم وبينه مناقشة حادة . وفتش "بيشو" جيوب "ديروك" تفتيشا دقيقا ولكنه لم يعثر على الورقة الملفوفة التي تحتوي على الصورة الفوتوغرافية ..

وعندما سئل الشرطي الذي كان في حراسة الغرفة وامسك بالنائب عند فراره . أكد أن كل ما فعله هو انه وقف في طريق النائب . اما الورقة أو الصورة الفوتوغرافية فإنه لم يرها ولا يعرف شيئا عنها ..

وعلى اثر ذلك اقتيد النائب "ديروك" إلى السجن .

ذلك هو ملخص المأساة التي هزت "باريس" كلها .

ونظرا لأهمية الدور الذي قام به المفتش "بيشو" في اثناء التحقيق . فقد انيطت به مهمة مراقبة الجنرال "ديروك" والد النائب المتهم ، ومراقبة كل من يتصل بهذا الشيخ .

قد قابل "بيشو" الجنرال بصفته الحقيقية ، وافهمه مهمته ..

ووجد من الجنرال الشيخ استعدادا للمساهمة في الجهود التي تبذل للوقوف على الحقيقة ..

فلما كان حادث العرافة البوهيمية . لم يكتم عنه الجنرال ما حدث بينه وبين هذه العرافة . اعتقادا منه بان الصورة الفوتوغرافية المطلوبة تخدم الدفاع لا الاتهام فقرر "بيشو" أن يكمن للعرافة عند حضورها إلى بيت الجنرال . ليس فقط ليضع يده على الصورة الفوتوغرافية إذا استطاع إلى ذلك سبيلا . وإنما كذلك ليتعقبها ويوقع بها عسى أن يعرف منها مقر "بارنيت" . وغرضه من دس إصبعه في حادث النائب "ديروك" ..

ففي اليوم التالي . قصد "بيشو" إلى بيت الجنرال في ركن ميدان (تروكاديرو) . وهو فرح مغتبط بانه سيصطدم مع "بارنيت" في الميدان الذي اختاره هذا الأخير بنفسه ..

دق "بيشو" باب بيت الجنرال ففتح الباب خادم بدين يشبه بمعطفه الأسود مسجلي العقود في الأقاليم .

وقد قضى "بيشو" الوقت بين الساعة الثانية والساعة الثالثة مختبئا وراء ستار النافذة في انتظار قدوم البوهيمية الحسناء ..

ولكن الوقت انقضى ولم تحضر البوهيمية ..

وانتظر كذلك في اليوم التالي دون جدوى ..

قال "بيشو" لنفسه :

– ربما يكون "بارنيت" قد عدل في خطته . ومنع البوهيمية من الحضور .

وقرر "بيشو" الانسحاب بعد أن عبر الجنرال "ديروك" عن يأسه من قدوم البوهيمية .

* * *

كان الجنرال "ديروك" رجلا نحيف الجسم على جانب عظيم من الصلابة وقوة الإرادة . وكان معروفا عنه . أن موضع الضعف الوحيد فيه . هو تفانيه العجيب في حب ولده "جان ديروك" المتهم .

كان واثقا تماما الثقة من ببراءة ولده . ولم تتزعزع هذه الثقة منذ

البداية . وقد عبر عن رايه في براءة ولده في حديث مؤثر نشرته الصحف غداة وصول الجنرال إلى "باريس" وقد قال الجنرال في حديثه:

"إن "جان" لا يقدم على جرم بشع كهذا .إن عيب "جان" الوحيد هو نزاهته الفائقة الحد . وتفانيه في التضحية وإنكار الذات ..

إني جئت . لا لاضم جهودي إلى جهوده . وإنما لادافع عنه ضد نفسه ..

إن كل إنسان يهمه ان يدافع عن شرفه . فإذا كان شرف "جان" يقتضيه أن يلزم الصمت . فإن شرفي يحتم علي ان احفظ سمعة أسرتنا مما يلطخها" .

وحدث مرة ان ضايقه مندوب إحدى الصحف بالأسئلة فاجابه بقوله:

– هل تريد ان تعرف رايي . ها هو رايي : إن ابني "جان" لم يختطف أحدا . ولابد أن تكون السيدة بطلة المأساة قد تبعته من تلقاء نفسها ..

إنه يلزم الصمت . لانه لا يريد ان يتهم مخلوقة توفيت .ووريت التراب . وكان له بها – كما انا واثق – علاقة قوية ..فليبحث البوليس. ولينشط المحققون فتنبلج لهم الحقيقة .

* * *

وكان من ناحيته يبحث ويحقق بنشاط اعظم من نشاط المحققين وقد قال مرة لـ "بيشو" .

– إن لي في كل مكان اصدقاء اقوياء يقومون بالتحقيق لإثبات براءة ولدي .. لا يقل في أهميته ودقته عن تحقيق البوليس والنيابة..

ولكن هؤلاء الاصدقاء ينقصهم – كما ينقص البوليس كذلك تلك الصورة الفوتوغرافية المهمة . التي يعتقد الجميع انها مفتاح السر.. فانا واصدقائي نرجو ان تكون هذه الصورة برهانا على براءة ولدي . وأنه أراد إخفاءها وإنكارها ...لأنها تتضمن سرا لا يريد ان يذاع او

يفتضح بينما يرجو السيد "فيرالدي" الذي ضم جهوده إلي جهود خصوم ولدي السياسيين أن تكون هذه الصورة دليلاً لإدانة ولدي . وهم يتعاونون معا ومع البوليس في البحث عن هذه الصورة . وقد فتشوا بيت ولدي مرارا من أجلها .

وقد علمت أن "فيرالدي" وضع جائزة مالية كبيرة لمن يأتيه بالصورة الفوتوغرافية . أو يرشده إلى مكانها . وأنا واثق بان اليوم الذي يعثر فيه على هذه الصورة . يكون يوم إثبات براءة ولدي .

ولكن "بيشو" لم يكن يهمه إثبات براءة الشاب المتهم . إنما كان يهمه أكثر من اي شيء آخر أن يضع يده على الصورة الفوتوغرافية فيقدمها إلى رئيسه كما وعد ..

وكان "بيشو" يعلم تمام العلم انه إذا كان ظهور الصورة يفيد "ديروك" . فإن خصومه يعرفون كيف يبيدون الصورة من الوجود .

* * *

كان "بيشو" شديد الإخلاص لعمله . وقد قرر أن يرابط في منزل الجنرال انتظارا لقدوم البوهيمية ، أو لظهور "بارنيت" .

ولكن البوهيمية لم تعد . و"بارنيت" لم يظهر .

وفي أحد الأيام . لاحظ "بيشو" على وجه الجنرال "ديروك" علامات التعب الشديد والتفكير العميق . فسأله عما به . فقال الجنرال :

– انا واثق وجميع أصدقائي واثقون بأن الشخص الوحيد الذي يستطيع ان يقدم إلينا معلومات صحيحة عن اختفاء الصورة الفوتوغرافية هو الشرطي الذي وقف في سبيل ابني يوم القبض عليه..

ولكن ما اسم هذا الشرطي ؟

ذلك ما لم نهتد إلى معرفته . بيد أن من نثق بمعلوماته قد انبأنا أن الجهات العليا قد اجرت مع هذا الشرطي تحقيقا دقيقا . ووضعته مع أسرته تحت الرقابة الشديدة .

فهل تريد أن اذكر لك اسم مفتش البوليس الذي كلف بمراقبة ذلك الشرطي وتفتيشه وتفتيش بيته !

إنهم يقولون إن اسمه "بيشو" . فهل هذا صحيح ؟ فصمت "بيشو" . ولم يؤيد كلام الجنرال أو ينكره ..

صاح الجنرال :

– يا سيد "بيشو" . إن صمتك يؤيد صحة كلامي . وفي هذه الحالة دعني أطلب إليك أن تبلغ رؤساءك انني أود مقابلة هذا الشرطي . فربما استطعت أن أستخلص منه ما لم تستطيعوا انتم استخلاصه .

نحن جميعا نسعى لغاية واحدة . وهي العثور على الصورة على امل أن تلقي ضوءا على الموقف . لمصلحة المتهم او لمصلحة الاتهام وخدمة العدالة .. فماذا يضيركم ان اتصل بذلك الشرطي . واستجوابه بنفسي . واعد بشرفي أن يكون رجال البوليس هم اول من تمر الصورة بين أيديهم عقب العثور عليها مباشرة .

وقد نقل "بيشو" هذه الرغبة إلى رؤسائه . فرخصوا له في أن يذهب بالشرطي إلى بيت الجنرال .

وبعد يومين .. فتح "سلفستر" البدين خادم الجنرال باب البيت . ورأى أمامه "بيشو"وبرفقته رجل يرتدي ثياب الشرطة ..

وقد قدم "بيشو" ذلك الرجل إلى الجنرال "ديروك" بقوله :

– ها هو ذا الشرطي "رمبورج" الذي تبحث عنه .

وقد كانت المقابلة طويلة .. والمناقشة حادة . ولكنها لم تسفر عن نتيجة . فقد اكد "رمبورج" بصفة قاطعة انه لم ير شيئا . واشار في حديثه إلى حقيقة أوضحت للجنرال السر في أن السلطات ذات الشان اهتمت اهتماما خاصا بتفتيشه ومراقبته . فقال إنه يدين بوظيفته للنائب "ديروك" المتهم . وان العلاقة بينهما ترجع إلى زمالتهما في الجيش .

وقد هدد الجنرال وتوعد . وتكلم بحدة . وبلطف .

وتوسل باسم ولده . ولكن "رمبورج" أصر على موقفه وأكد انه لم ير

ايةصورة فوتوغرافية . وذكر أن النائب "ديروك" نفسه كان في حالة اضطراب شديد فلم يعرفه عندما تقابلا .

ولما يئس الجنرال . وشعر بان لافائدة من الإلحاح .

مد يده إلى "رمبورج" مودعا . وقال له .

– اشكرك كثيرا .. كان بودي أن اصدقك .. ولكن وجود الصلة التي ذكرتها بينك وبين ولدي يحملني على الاحتفاظ بريبتي وشكوكي .

ثم التفت إلى خادمه وقال له :

– يا "سلفستر" . رافق مسيو "رمبورج" إلى الباب ..

فانصرف الشرطي برفقة الخادم ..

وانقضت بضع دقائق حدث بعدها حادث عجيب . فقد كان "بيشو" لا يزال يتامل تقاطيع وجه الجنرال ليري الأثر الذي تركته في نفسه مقابلته للشرطي "رمبورج" . حين فتح الباب . ودخل الخادم "سلفستر" البدين المترهل . وراح يدور حول نفسه بحركة بهلوانية سريعة . اثارت دهشة "بيشو" .. حتى خيل إليه أن الخادم البدين قد اصابه مس من الجنون .

وقبل أن يفيق "بيشو" من دهشته .. شعر بشيء يصدم راسه فجاة .. وراى الجنرال يقهقه ضاحكا ويكاد أن يستلقي على قفاه..

تناول "بيشو" الشيء الذي أصاب وجهه . فإذا هو قطعة من الكاوتشوك (المطاط) اخرجها "سلفستر" من تحت ثوبه ..

فزال بطنه الضخم . ونظر "بيشو" إلى "سلفستر" مرة أخرى وعرف فيه غريمه "بارنيت" ..؟

أحنى "بارنيت" قامته باحترام . وقال محدثا الجنرال :

– أرجو المعذرة سيدي الجنرال . فإنني رجل لا أستطيع كتمان سروري وارتياحي متى نجحت في مهمة .

– إذن قد نجحت يا مسيو "بارنيت" !

– اظن ذلك . والفضل كل الفضل لصديقي العزيز "بيشو" ..

فنظر إليه "بيشو" بعينين يتطاير منهما شرر الغيظ والغضب

واستطرد "بارنيت" قائلا :

- اعتقد ان صديقي "بيشو" يشعر الآن بفضول شديد ..

وليس من الإنصاف في شيء بعد المعونة القيمة التي قدمها إلينا ان نتركه فريسة للفضول . فاصغ إلي يا صديقي "بيشو" ..

سأسرد عليك كل شيء بالتفصيل من البداية ..

وتهالك "بارنيت" على احد المقاعد وأشعل لفافة تبغ ومضى في حديثه قال :

- إنني كنت في إسبانيا حين جاءتني برقية من صديق لي هو في ذات الوقت من اصدقاء اسرة "ديروك" .. وقد طلب إلي في البرقية ان أسرع للمساهمة مع الجنرال "ديروك" في إنقاذ ابنه المتهم من ورطته .

وقد كنت حين جاءتني هذه البرقية في رحلة غرامية مع سيدة حسناء . ولكن غرامنا كان قد أدركه شيء من الفتور فانتهزت هذه الفرصة لاسترداد حريتي . وعدت إلى "باريس" بصحبة بوهيمية حسناء "قابلتها في (غرناطة) .

وعندما علمت بتفاصيل الحادث الذي اتهم فيه النائب "ديروك" . طاب لي ما فيه من تعقيد والغاز . وقررت أن اساهم في إماطة اللثام عن حقائقه وهداني التفكير والاستنتاج اخيرا ... إلى أنه إذا كان هناك شخص يستطيع ان يقدم دليلا يكون له اهمية في القضية . فذلك الشخص لابد أن يكون الشرطي الذي قطع على النائب "ديروك" السبيل بعد أن اختطف الصورة الفوتوغرافية .

وقد ذهبت سدى جميع الجهود التي بذلتها لمعرفة هذا الشرطي. وانقضت الأيام سراعا وساء مركز المتهم ..

وأخيرا وجدت انه لم يبق لنا سوى أمل واحد . هو انت يا مسيو "بيشو" ..

نعم . كنت أملنا الوحيد يا "بيشو" . لأننا علمنا انك انت الذي انيطت به مهمة تفتيش الشرطي المطلوب ومراقبته .. ولكن كيف السبيل لاستدراجك ؟

اعترضت سبيلك ذات يوم . واغريتك بمطاردتي . حتى وصلت إلى ميدان (تروكاديرو) ومن ثم كانت مقابلتي مع البوهيمية . والكلمات التي تبادلناها . والنظرات التي ارسلناها نحو منزل الجنرال. وهي حركات كانت كافية لإيقاعك في الفخ .

وانت تعلم كيف استدرجناك بعد ذلك للإتيان بالشرطي الذي كنت اعتقد دائما أن الكثير يتوقف عليه .

كنت أريدك على أن تجمعني بهذا الشرطي بضع دقائق فقط . نعم بضع دقائق تكفي ..

لماذا أردت مقابلة هذا الشرطي ؟ لذات الغرض الذي يسعى وراءه البوليس والنيابة . وجميع المتصلين بهذه القضية وهو الحصول على الصورة الفوتوغرافية .

لقد كنت اعرف مهارتك ودقتك في التفتيش .. فكان من العبث إذن البحث عن الصورة في منزل النائب "ديروك" أو في منزل الشرطي . وكان من العبث كذلك إعادة تفتيش ثياب الشرطي وحذائه . وقبعته إنما كان يجب البحث عن مخبأ عجيب . مخبأ لا يمكن أن يخطر لك ببال . مخبأ يحتفظ فيه الشرطي بالصورة الفوتوغرافية وهو آمن مطمئن .ويفعل ذلك دون أن ينتقل من مكانه حيث أوقفته في منزل النائب لحراسته في أثناء التفتيش والقبض . فهل أدركت الآن ما هو هذا المخبأ ؟

هل أدركت ما هو الشيء الذي يمتاز به الشرطي عن سائر الناس . فلما فتشته كما تفتش سائر الناس غاب عنك ذلك الشيء؟

فكر واكدح ذهنك يا "بيشو" . إنني أرى من نظراتك البلهاء انك لن توفق ..

انظر ..

واخرج "بارنيت" من كم ثوبه عصا بيضاء صغيرة . أخذ يحركها بين اصابعه بخفة ومهارة . ويناجيها بقوله : أيتها العصا الصغيرة يا رمز السلطة . ايتها العصا التي اجتذبتها من نطاق الشرطي "رمبورج"

واستبدلت باخرى تشبهها دون أن يشعر . كم من المتاعب وفرت علي . وكم من الآلام ستوفرين على غيري ..

ثم أمسك بمقبض العصا الصغيرة البيضاء . وحركه فدار في يده . وانفصل عن العصا .

وعندئذ تألق في عيني "بارنيت" نور الفوز والانتصار ..

بينما كان الجنرال و "بيشو" ينظران إلى يديه نظرات دهشة وقلق وانتظار ..

ثم وضع "بارنيت" يده على أعلى العصا وقلبها . فسقطت على كفه أسطوانة نحاسية رفيعة . مد إصبعه فيها وأخرج منه ورقة . عرفها "بيشو" في الحال . لأنه صاح وهو ممتقع الوجه :

– الصورة الفوتوغرافية . إنني اعرفها .

فقال "بارنيت" :

– أنت تعرفها .. أليس كذلك ؟ طولها خمسة عشر سنتيمترا تقريبا . ومنزوعة من الورق المقوى الذي كانت ملصقة عليه . هل تريد ان تكون أول من يراها يا سيدي الجنرال ؟!!!

فتناول الجنرال تلك الوثيقة الثمينة بيد ترتجف وبسطها بين أصابعه . وعندئذ وجد أربع رسائل وبرقية قد ثبتت بالصورة الفوتوغرافية بواسطة دبوس . .

ألقى على الصورة نظرة طويلة .. ثم انقلبت سحنته ..

وظهرت على وجهه علامات الانفعال ..

بسط أمامهما الصورة وهو يقول :

– هذه صورة صبية في مقتبل العمر . تحمل على ركبتيها طفلا. ووجه الصبية يشبه كثيرا وجه مدام "فيرالدي" كما ظهر في الصورة التي نشرتها الصحف . فلا شك أنها إذن صورة مدام "فيرالدي" منذ تسعة أو عشرة أعوام .. آه .. هو ذو تاريخ مسجل في ركن الصورة .. نعم .لقد صدق ظني .. إن الصورة يرجع تاريخها إلى عشرة أعوام .. وعليها إمضاء "كرستينا" .. و"كرستينا" هو اسم مدام "فيرالدي" ..

وصمت الجنرال لحظة ثم ساله :

- هل افهم من هذا ان ولدي كان يعرفها في ذلك العهد . قبل ان تتزوج ؟

فقال "بارنيت" وهو يقدم إلى الجنرال الرسائل :

- اقرا هذه الرسائل يا سيدي الجنرال . فقد يكون فيها المزيد من الإيضاح ..

وقدم إلى الجنرال الرسائل المثبتة بالصورة بدبوس . وهي مكتوبة بخط نسائي فقراها الواحدة تلو الاخرى .. وهو شديد الانفعال .. ثم قرا البرقية .. وانهمرت الدموع من عينيه .. ولزم "بارنيت" و"بيشو" الصمت احتراما لحزنه .. وأخيرا تكلم الجنرال فقال :

- إنني انا المذنب الحقيقي .. حدث منذ اثني عشر عاما أن أنباني ولدي "جان" بانه يحب فتاة من بنات الشعب . والدها عامل متواضع . وانه اولد هذه الفتاة ولدا ويريد أن يقترن بها . ولكن كبريائي حملتني على استنكار سلوكه وعدم الموافقة على هذا الزواج . وقد رفضت كذلك أن اسمح للفتاة التي يحبها بمقابلتي .. وكاد "جان" يتزوج بها على الرغم من إرادتي . ولكنها لم توافقه على ذلك .. وآثرت التضحية بنفسها على تعريضه لسخطي ونقمتي . وها هي ذي رسالتها الأولى.

وقرا الجنرال في الرسالة الأولى :

(وداعا يا "جان" .. إن والدك لا يوافق على زواجنا . وقد رفض مقابلتي فيجب الا تعرض نفسك لغضبه .. لاني اخشى ان يجلب ذلك الشقاء لولدنا الصغير العزيز . ارسل إليك رفق هذا صورتي مع الصغير . فاحتفظ بها .. وحاول أن تنسى .. بالتدريج) .

قال الجنرال :

- والظاهر أنها هي التي نسيت أولا .. لأنها تزوجت بالسيد "فيرالدي" .. اما الطفل الصغير فقد تركه . "جان" لعناية استاذ متقدم في السن يقيم في "شارتر" حيث كانت والدته تذهب سرا لزيارته .

وآخر هذه الرسائل يرجع تاريخها إلى خمسة اشهر وفيها تعبر

"كرستينا" عن حبها العظيم للطفل .. وعن أسفها الشديد على زواجها الذي منعها من معاشرة ابنها ومن رؤيته إلا سرا . اما هذه البرقية فمرسلة إلى ولدي من الأستاذ الشيخ الذي كان يقوم بتربية الطفل وتعليمه وفيها يقول لـ "جان" (الطفل مريض جدا - احضر).. وقد كتب ولدي على هذه البرقية فيما بعد هذه الكلمات المخيفة :

(مات ولدنا . وانتحرت كرستينا) .

ولا شك أنه كتب هذه الكلمات عقب هذه الفاجعة وقبل ان ترفع عنه الحصانة البرلمانية ويلقى القبض عليه . وهنا صمت الجنرال ولم يزد...

والواقع .. أن الحوادث كانت تفسر بعضها بعضا .. فمن الواضح أن النائب "جان ديروك" عندما تسلم برقية الأستاذ الشيخ بحث في الحال عن "كرستينا" وأوصلها في سيارته إلى "شارتر" ..

حيث رأيا طفلهما وهو على فراش الموت .

وفي أثناء العودة كانت "كرستينا" في حالة يأس وقنوط فالقت بنفسها من نافذة السيارة وماتت منتحرة حزنا على ولدها .

ساد بعد ذلك سكون عميق بدده "بارنيت" بقوله :

- وماذا قررت يا سيدي الجنرال ؟

- يجب إذاعة الحقيقة .. إذا كان "جان" قد لزم الصمت المطلق.. فليس ذلك إلا كي لا يلطخ سمعة "كرستينا" .. ومن حسن الحظ أنه مع اطمئنانه إلى صمت الأستاذ الشيخ وصمت الشرطي "رمبورج" . فإنه لم يعدم هذه الوثائق التي شاءت الأقدار أن تقع في أيدينا لنرد الحقائق إلى نصابها .

إن انتصارك يا مسيو "بارنيت" قد ساعد على .. فقاطعه "بارنيت" :

- فاشكر "بيشو" يا سيدي الجنرال ..

- فلا تنس ذلك لأنه لو لم يأتني "بيشو" بالشرطي "رمبورج" وعصاه.... إذن لخسرت المعركة ..

- إنني أشكركما معا فقد أنقذتما ولدي . وثقا بأنني سأؤدي واجبي

حيالكما ..

وكان تطور الحوادث في الساعة الأخيرة قد ترك في نفس "بيشو" اثرا عميقا . فتناسى واجبات المهنة .. وتناسى التعليمات التي صدرت إليه بالحصول علي الصورة الفوتوغرافية مهما كلفه ذلك . وسمح لأشرف عواطفه الإنسانية بان تكتسح في نفسه كل شعور بمسؤوليات الوظيفة .

ولكنه انتهز فرصة انتقال الجنرال إلى غرفة اخرى واقترب من "بارنيت" والقى يده على كتفه فجاة وقال له :

- إنني اقبض عليك يا "جيمس بارنيت" .

وقد قال ذلك بلهجة الرجل الذي لا يثق بنفسه .. ويشعر بأن تهديده سيذهب عبثا ولكنه ينطق به إرضاء لضميره .

فمد إليه "بارنيت" يديه وقال :

- احسنت القول يا "بيشو" .. هانذا معتقل مغلوب على امري .. فليس لأحد إذن أن يوجه إليك لوما .. فكن مرتاح الضمير بصفتك رجل بوليس .. والآن اسمح لي بأن أهرب .. وارض ضميرك بصفتك صديقي..

فتاثر "بيشو" بهذه السهولة والصراحة : وقال :

- إنك رجل عجيب يا "بارنيت" .. والمعجزة التي قمت بها الآن..

- لأن استنتاجك وجود الصورة في العصا هو إحدى المعجزات التي تجعلك خليقا بكل صفح .

فقال "بارنيت" وهو يبتسم :

- الواقع . أن الربح يشحذ الذهن . ويقوي الإنسان على العمل..

- الربح ؟ هل سيدفع لك الجنرال أجرا ضخما ؟ فأجاب "بارنيت" :

- بالتاكيد .. ولكني سارفضه جريا على عادة مكتب "بارنيت" وشركاه .. إن "بارنيت" وشركاه يقومون بجميع الأعمال مجانا كما تعلم.. أصغ إلي يا "بيشو" .. إنني عندما القيت بصري على الرسالة الرابعة .. قرأت في أحد أركانها ما يدل على أن مدام "فيرالدي" قد

صارحت زوجها بالحقيقة منذ البداية . وحدثته في إخلاص وصراحة بما كان بينها وبين "جان ديروك" ومعنى نلك ان هذا الرجل الغني كان يعلم كل شيء عن العلاقة . على الرغم من علمه بهذا كله قد عمد إلى تضليل العدالة بسوء نية . بان انكر الحقائق التي يعرفها وزعم انه لم يسمع قط عن "ديروك" . وذلك بقصد الانتقام من العشيق السابق لزوجته .. وإرساله إلى المشنقة إذا امكن .

فسلوك "فيرالدي" فيه خرق للقانون . وفيه فضيحة له .

فهل تعتقد ان هذا (المليونير) لا يكون على استعداد لدفع كل ما يطلب منه اتقاء الشر والفضيحة ؟ إنني واثق بانه لا يتردد في ابتياع الرسالة الرابعة باي مبلغ أطلبه ..

ثم ابتسم وأردف :

– ومهما يكن الحال . فإني احتطت للأمر ووضعت الرسالة في جيبي ..

* * *

تنهد "بيشو" ولكنه لم يحتج بشيء ..

الم يكن المهم أن تنتصر العدالة وأن تظهر براءة البريء ؟

نلك هو المهم . أما أسلوب "بارنيت" في فرض عقوبات اقتصادية ومالية على المذنبين الذي يستحقون العقاب لأمور لا تنالهم بسببها يد العدالة .. فذلك أمر لم يهمه كثيرا ..

قال :

– وداعا يا "بارنيت" . أرى من الأفضل ألا نتقابل بعد الآن .. وإلا انتهى الأمر بموت ضميري وإهمالي واجبات وظيفتي . الوداع.

– الوداع يا "بيشو" .. إنني أقدر النضال النفساني النبيل الذي يعتمل في أعماقك وأقدر حيرتك بين الواجب ومقتضيات الإنسانية والصداقة .. أؤكد لك أن هذه المشاعر كلها تشرفك ..

وبعد بضعة أيام تسلم "بيشو" من "بارنيت" الرسالة التالية :

- دعني اهنئك ايها الصديق العزيز .. على الرغم من أنك لم تستطع اعتقال "بارنيت" الخبيث كما وعدت .. ولم تتمكن من الاستيلاء على الصورة الفوتوغرافية الثمينة كما طلب إليك .. فإنني دافعت عنك دفاع الأبطال .. ونجحت في حمل "فيرالدي" على أن يوصي بك رؤساءك خيرا ولعلك تعلم بنفوذ هذا الرجل . وقد كانت النتيجة أنه صدر اليوم الأمر بترقيتك إلى رتبة "كبير مفتشي البوليس") .

إمضاء

"ارسين لوبين" الشهير بـ"جيمس بارنيت"

وقد استولت الدهشة على "بيشو" حين قرأ الإمضاء .. ولكنه ما لبث أن اعترف فيما بينه وبين نفسه أن هذا الإمضاء قد جاء مصداقا للاستنتاجات والظنون التي خالجته مرارا ولم يجد الجراة على مكاشفة "بارنيت" بها .

وقد عز على "بيشو" أن يكون مدينا بترقيته "لأرسين لوبين" ولكنه عاد ففكر أن من الحمق رفض هذه الترقية التي يستحقها لنشاطه ومواهبه.

ومن ذا الذي يستطيع الاعتراف بمواهب "بيشو" غير "بيشو" نفسه .

وعلى ذلك فإنه مزق الرسالة .. ولكنه رحب بالترقية .

"تمت بحمد الله "

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها،
وأرسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وان يكون الشيك
مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : بإسم

دار ميوزيك

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦				

الإســم : ....

العنوان : ....

ص.ب .... المدينة : ....الرمز البريدي : ....

الدولــة : ....

مرسل طيّه شيك بمبلغ .... دولار أمريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها.. سارع في إرسال طلبك !

١	ارسين لوبين بوليس آداب
٢	ارسين لوبين بوليس سري
٣	الماسة الزرقاء
٤	ارسين لوبين رقم ٢
٥	ارسين لوبين في السجن
٦	المعركة الأخيرة
٧	أرسين لوبين في موسكو
٨	ارسين لوبين في قاع البحر
٩	ارسين لوبين في نيويورك
١٠	اسنان النمر
١١	الميراث المشؤوم
١٢	اصبع أرسين لوبين
١٣	لصوص نيويورك
١٤	اعترافات أرسين لوبين
١٥	الإبرة المجوفة
١٦	الإنذار